وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العربي التبسي –تبسة–

كلية الآداب واللغات

قسم الأدب العربي

مذكرة بعنوان:

الحجاج في الخطاب السياسي

دراسة في خطبة ياسر عرفات بالأمم المتحدة 1974م

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر (ل. م. د) تخصص: لسانيات الخطاب

إعداد الطالبة: لامية قدري

إشراف الأستاذ أ. د الشريف حبيلة

اللجنة العلمية

الأستاذ	الرتبة	الجامعة	الصفة
كمال رايس	أستاذ محاضر –ب–	جامعة العربي التبسي ـ تبسة	رئيسا
الشريف حبيلة	أستاذ تعليم عالي أ. د	جامعة العربي التبسي ـ تبسة	مشرفا ومقررا
علية بيبية	أستاذ محاضر –أ–	جامعة العربي التبسي ـ تبسة	مناقشا

السنة الجامعية 2018 / 2019

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يعتبر الخطاب بكل أنماطه مجالا واسعا للحجاج، ما جعله مرتبطا بالإشكالات التي تثيرها البلاغة، والتواصل، ولسانيات الخطاب؛ كونه ينتمي إلى الأفعال الإنسانية، التي تهدف إلى الإقناع، والخطاب السياسي خطاب حجاجي بالدرجة الأولى؛ كونه يتوسل مجموعة من التقنيات، والآليات اللسانية، والمنطقية، والعقلانية، بهدف التأثير في المستمع، وبالتالي إقناعه لذا فالمخاطب يبني خطابه انطلاقا من مجموعة من المنطلقات والطرائق والتقنيات الحجاجية التي يوظفها في خطابه، سواءً كانت لغوية، أو غير لغوية؛ لدعم حججه.

الخطاب السياسي يتميز عن غيره من الخطابات بالمقصدية الموجه إلى متلقي معين، قصد التأثير فيه، وإقناعه، لذا يهتم بالفكرة، والمضمون، أكثر من عنايته بالألفاظ، إلا أن هذه المضامين، والأفكار، تمتاز بالاتساع الدلالي، مما يضفي على الألفاظ عمقا.

وتأتي الدراسة محاولة الاقتراب، وتسليط الضوء على الخطاب السياسي، مستعينة بنظرية "شاييم بيرلمان" في الحجاج، متخذة من خطبة "ياسر عرفات" نموذجا للدراسة، وموضوعا للبحث والمعنون بـ "**الحجاج في الخطاب السياسي دراسة في خطبة ياسر عرفات بالأمم المتحدة 1974م**".

ويعد خطاب الرئيس "عرفات" خير مثال على الخطاب السياسي الفلسطيني، ولعل طبيعة شخصيته السياسية، وعمق معانيه، ولغته النابعة من شخصيته، هي التي دفعتني لتناول خطابه بالدراسة، والتحليل، إضافة إلى انتمائنا للقضية، فهي الأقرب انتماءً لذواتنا.

إن التساؤل الذي يطرح نفسه أثناء دراستنا للموضوع هو:

- ما هي المنطلقات التي يستند إليها في خطابه؟
- ما هي الآليات، والإجراءات التي يتخذها للكشف عن نسقه وفاعليته؟
- ما مدى أهمية التقنيات التي يتم اللجوء إليها في الحجاج للتأثير على الآخر؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة ارتأينا الاستعانة بالنظرية الحجاجية المعاصرة عند "بيرلمان" وزميلته "تيتكا"؛ للوقوف على دلالات الخطاب، وذلك وفق ما يستوعبه العقل من تدرج على مستوى الحجج، والبراهين، في نسق الخطاب، يطبعه التناسق، ويحكمه الانسجام، لقد قاما كل من "بيرلمان" و"تيتكا" بعملية استقراء للوصول إلى أهم خصائص الحجاج، والذي يهدف إلى

الإقناع كونه استدلالي من ناحية، وهذا ما ينفي عنه الاعتباطية، إضافة إلى الجانب الذاتي العاطفي، الداعم للجانب العقلي، لذا اتخذنا من نظرية "بيرلمان" و"تيتكا" في كتاب **Traite de l'argumentation** و **l'empire rhétorique** إطارا للدراسة، مدعمة ذلك بالتأويل للوقوف على دلالات المنطق الحجاجي، إضافة إلى اعتمادنا بعض المصادر الأساسية، التي كان لها الأثر البارز في دراستنا وهي:

- نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان: الحسين بنو هاشم.
- أهم نظريات الحجاج من أرسطو إلى يومنا هذا: إشراف: حمادي صمود.

لقد وقعت البلاغة الجديدة كغيرها من العلوم الإنسانية في التعدد المنهجي، لذا كان الاعتماد على النظرية الحجاجية عند "شاييم بيرلمان" و"لوسي أولبرخت تيتكا" من خلال دراستنا لمنطلقات الخطاب السياسي لـ "عرفات"، ومقاربته، وكأي بحث واجهنا بعض الصعوبات:

- ضيق الوقت.
- قلة الدراسات المتعلقة بالحجاج وبخاصة المتعلقة بالخطاب السياسي.

ونظرا لأهمية الدراسة الحجاجية بما لها من فعالية تداولية، تجمع بين الإقناع والاقتناع؛ لنصرة الحقيقة، ومرد ذلك التحولات التي يشهدها العالم المعاصر على مستوى سبل التواصل، وآليات الاتصال، وكثرة طرق التضليل والتغليط في التعامل بين الناس، وفي خطاباتنا، من هنا تبرز أهمية الحجاج في الدراسات الحديثة وبخاصة الخطاب السياسي.

بناء على ما سبق بيانه يتضح أننا في هذا البحث نطمح إلى تحقيق جملة من الأهداف الآتية:

- إعادة قراءة الخطاب السياسي العربي وفق النظريات الحديثة.
- إبراز الوظيفة الحجاجية لخطاب "ياسر عرفات".

- إبراز الخصوصية الجوهرية (الاستمالة، التأثير، الإقناع) التي توفر عليها خطاب "عرفات" مع مراعاة حال المتكلم، ومقاصده، وكذلك التلقي، ومنزلته من الخطاب، وعناصر السياق المحيطة به.
- استجلاء التقنيات الحجاجية، والوظائف البلاغية لخطاب "عرفات".

قد وردت هذه الدراسة الموسومة بـ "**الحجاج في الخطاب السياسي دراسة في خطبة ياسر عرفات بالأمم المتحدة 1974م**" في ثلاثة فصول، وملحق.

الفصل الأول: خصص هذا الفصل للدراسة النظرية للبلاغة، من خلال تتبع الجذر اللغوي، والاصطلاحي للحجاج، ثم تتبع مسار المصطلح تاريخيا عند الغرب (أفلاطون-أرسطو)، ثم عند العرب (الجاحظ، ابن وهب، السكاكي) لنختمه بالنظرية الحجاجية عند (شاييم بيرلمان وتيتكا).

وفي الفصل الثاني: -تطبيقي- بين منطلقات الحجاج ومقارنتها بالمدونة، محل الدراسة، من خلال رصد للحقائق والوقائع، التي بني عليها الخطاب؛ كون المنطلقات متغيرة، بحسب مقتضيات الحاجة، والمقام، وهنا نتبين المرجعيات التي انطلق منها عرفات؛ لدعم القيم باعتبارها واقعا من جهة، وتبسيط الحقيقة من جهة أخرى.

أما في الفصل الثالث: فقد تم من خلاله دراسة تقنيات الحجاج بشقيه الوصل والفصل، فالأول يحاول ربط الأشياء التي لم تكن متصلة؛ وبالتالي يخلق سياقا تفسيريا تقييميا، أما الانفصال فهو يقسم بين الأجزاء المختلفة؛ ليخلق التباين بين الحجج، هذه التقنيات تنطوي على حجج شبه منطقية، وحجج مؤسَسَة على بينة الواقع، ومؤسِسَة لبنية الواقع. هذه الطرائق لا تقتصر على مجرد الدخول في علاقة استدلالية، بل تستدعي أيضا الدخول في علاقة مجازية، مما يجعلها متميزة عن طرائق البراهين، وبالتالي فهي أقرب إلى الخطابة منها إلى المنطق.

وأخيرا خصصنا ملحقا في البحث؛ لنص المدونة.

ولا يسعني في نهاية هذه المقدمة إلا أن أتوجه بالشكر والامتنان إلى كل من ساعدني على إنجاز هذا البحث، من قريب أو من بعيد، خاصة بذلك أستاذي الموقر: "**الشريف حبيلة**" شكرا عجز منطقي عن الإبانة عنه، أو تعديد بواعثه فقد غمرني بفضله ودماثة خلقه، وأحاطني برعايته وعلمه وتوجيهه في نزاهة وموضوعية يعز على طالبها في هذه الأيام، حتى استقام البحث على سوقه، وكانت كل فكرة طيبة فيه تنطق باسمه فله مني كل التقدير والعرفان، وأن يجعل كل ذلك في ميزان حسناته، ويجزيه خير ما يجزى به العلماء المخلصين العاملين.

والله يعلم أنني بذلت ما في وسعي، ولم أدخر جهدا في هذا البحث، فإن وفقت فمن الله وفضله، وإن تكن الأخرى فمن نفسي، فحسبي أنني بذلت الجهد وحاولت الإخلاص في العمل ويممت شطر وجهي نحو الصواب.

المدخل: الحجاج المفاهيم والتقاطعات

1. بين الحجاج والتداولية
2. الحجاج والخطاب السياسي

أولا: بين الحجاج والتداولية

انبثق موضوع الحجاج من حقول بلاغية، ومنطقية، ولسانية، لتظهر البلاغة بثوب جديد أطلق عليها "البلاغة الجديدة، La Nouvelle Rhétorique" فهي: «نظرية عامة للمحاججة بكل أشكالها –الشرعية والسياسية والأخلاقية والجمالية والفلسفية»[1] والحجاج موضوع تتجاذبه حقول مختلفة، لذا تعددت وظائفه إلى ثلاث هي: الإقناع الفكري الخالص، الإعداد لقبول أطروحة ما، والدفع إلى العمل.[2]

لذا كان لزاما على الدرس اللساني العربي المعاصر مواكبة الساحة الفكرية المتباينة الأفكار والآراء، ونظرا لحدة الصراعات الأيديولوجية، والاختلافات المذهبية، والتناقضات السياسية، التي طفت على السطح بفعل وسائل الاتصال، انصب الاهتمام على وسائل الإقناع وطرائق الاستدلال، والبرهنة، وتقنيات الحجاج؛ لكسب الجماهير، والظفر بمساحات جديدة إضافة إلى عجز العلم في حسم الكثير من مشكلات الإنسان العملية، والعقائدية، والوجودية من هنا انبثقت البلاغة، بوصفها الأداة الأكثر إنسانية في التواصل بين الأفراد، والمجتمعات من جهة، ومن جهة أخرى أداة مشاعة، فمن امتلك اللغة الطبيعية امتلك الحجاج.

والبلاغة هنا «ليس مفهومها المدرسي الذي ساد أيضا في الثقافة العربية الحديثة، وليس مفهومها الذي ساد أيضا في الثقافة الغربية منذ القرن السادس عشر، واستمر حتى أواخر القرن التاسع عشر؛ أعني مفهومها الذي اقترن بالكفاية الأسلوبية، والقدرة على تنميق الكلام واستخدام أفانينه الساحرة، بل المقصود بالبلاغة نظرية في الخطابات التواصلية، سواءً أكانت كلاما عاديا، بين أفراد المجتمع، أم طابات سياسية، ودينية، وقضائية، وحقوقية، واجتماعية، وأدبية»[3]

---

[1] أوزوالد ديكرو، وجان ماري شايفر: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تر: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط02، 2007م، ص: 163.

[2] محمد سالم ولد محمد الأمين: «مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة»، مجلة فكر ونقد، الكويت، ع03، مج28، يناير، مارس 2000م، ص: 57.

[3] فليبب بروطون: الحجاج في التواصل، تر: محمد مشبال، وعبد الواحد التهامي العلمي، إشراف: كامليا صبحي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط01، 2013م، ص: 11

لقد كشف النسق البلاغي عن فاعليته في مجالات الخطاب المتعددة، وبفضل الدقة التي يتميز بها في التناول البلاغي للخطاب، فإننا نلاحظ أن البلاغة صارت اليوم منطقة مشتركة بين العلوم، تصدر مفاهيمها إلى المجالات الأخرى، باعتبارها أداة الفهم، والإقناع، والتأثير والاستمالة، وبالرغم من التنوع في الوظائف البلاغية إلا أن المظهر الحجاجي يظل من أبرز خصائص الفكر البلاغي لذا انصب اهتمامها على أطراف هذه العملية التواصلية، فربطوا بين «فن القول بشكل عام مع مراعاة (المتكلم، المتلقي، المقام) وبين مفهوم التداولية، بوصفها العلم الذي يعنى بالعلاقة بين بنية النص، وعناصر الموقف التواصلي»[1] بهذا المفهوم تشترك مع اللسانيات التداولية، وتحمل الكثير من قيمها في دراستها للغة «فلا يجوز لنا حصر اللغة في سحر البيان، وربطها فقط بالتعبير، والوصف، فما نتلفظ به من ملفوظات يتجاوز بكثير ما رسمته النظرية الاسمية في المعنى للغة؛ ليصبح القول قولا ينجز فعلا»[2]

اللغة العادية هي التي توجد الحوار، من خلال قابليتها للتأويل، وهكذا فهي تنطوي بين نوعين من الفعل "اللغوي"(التحدث)، و"غير اللغوي" (الفعل)؛ فالنشاط غير اللغوي لا يعطينا المعنى تلقائيا، على عكس النشاط اللغوي، فالفعل اللغوي يظهر نية، وقصد المتكلم؛ لأن له بنية وتركيبة تعطي المعنى مباشرة، وهذه النية تضم الفعل والكلمة، وهو ما يسميه "هابرماس" أفعال كلامية، ولكي يكون هناك تواصل، وتفاعل بين آليات الباث والمتلقي وجب التعاون وهذا التعاون أساسه القبول العقلاني المبرر «يرتبط بشكل البرهان، والخطاب الذي يجب أن يخضع لضوابط عقلانية حتى يؤدي إلى الاتفاق»[3]

لذا رفض "أوسكمبرو وديكرو O. Ducrot/G.Aumscombre" الفصل بين الدلالة والتداولية؛ ذلك أن الجزء التداولي مندمج في الدلالة «سعى إلى اكتشاف منطق اللغة؛ أي القواعد الداخلية للخطاب، والمتحكمة في تسلسل الأقوال، وتتابعها بشكل متنام، وتدريجي

---

[1] حمادي صمود: من تجليات الخطاب البلاغي، دار قرطاج، تونس، ط01، 1999، ص: 133.

[2] جلول مقورة: «اللغة بين الوظيفة التداولية والضرورة التأثيلية، هابرماس وطه عبد الرحمان من التداولية إلى التداولية المضاعفة»، جامعة المسيلة، الجزائر، (د، ط)، ص: 187.

[3] حسن مصدق: هابرماس ومدرسة فرانكفورت النظرية النقدية التواصلية، تق: برهان عليون، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط01، 2005م، ص: 131.

وبعبارة أخرى يتمثل الحجاج في إنجاز تسلسلات داخل الخطاب»[1]، وبالتالي فالأقوال تحتمل في جوهرها مؤشرات لسانية ذاتية تدل على طابعها الحجاجي، إضافة إلى «المبادئ اللغوية العامة المشتركة بين جميع المجموعة اللغوية، ومؤشر لها داخل اللغة»[2]، فالمعاني إما ظاهرية وإما باطنية، ومن أنواع المعاني الظاهرة: المعنى الحرفي، المعنى القضوي، المعنى المعجمي والإخباري...الخ، ومن أنواع المعنى الباطني: الاقتضاء، الاستلزام الدلالي، التضمين، الاستلزام الحواري...الخ، ومن هنا ارتبط الحجاج في الخطاب بالقصد، والسياق المقامي التداولي.[3]

مقابل ذلك وجب على المتلقي مراعاة وضعية التلفظ "Situation prononciation" فكل ملفوظ يعد نشاطا ماديا نحويا، يتوسل بأفعال قوليه "Acte Locutoire"، ثم أفعال إنجازية "Acte illocutoire" كالطلب، والوعد، والوعيد، والترغيب...الخ، وغايات تأثيرية " Acte Perlocutoire" وبالتالي فأبرز سمات فعل الكلام هي: القصدية، والإنجازية، ونية التأثير في المتلقي، سواءً كان هذا المتلقي فردا أو جماعة.

لنستنتج أخيرا أن وظيفة الفعل الكلامي وظيفة تداولية، وحجاجية إقناعية في آن واحد.[4] لقد أصبحت التداولية في إطار الحجاج أقرب إلى الإبداع منها إلى الاتباع، تسعى إلى معرفة عميقة للعالم والإنسان، واللغة، وإلى معرفة الماضي، والحاضر، ومعرفة العلوم، والثقافات، والوقائع، والأحداث، والتوقعات، والملابسات، بل معرفة النوايا، وبذلك أصبحت تشتغل على قضايا اجتماعية، وسياسية، ناهيك عن بعدها المعرفي.

ثانيا: الحجاج والخطاب السياسي

فتحت البلاغة أبوابها على مسرح الحياة السياسية؛ لتنصب على الممارسة السياسية وتبحث في طرق التأثير المتبعة من لدن الساسة للوصول إلى الجمهور، وكسب ثقته فتجاوزت مجرد الاهتمام بالكلام الفصيح، وبالمحسنات الأسلوبية، والمعنونة؛ لتضحى منهجا مرنا

---

[1] أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، المغرب، ط01، 2006م، ص: 08.

[2] المرجع نفسه: ص: 33.

[3] المرجع نفسه، ص: 37.

[4] بلقاسم دفة: «استراتيجية الخطاب الحجاجي، دراسة تداولية في الإرسالية»، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، الجزائر، ع 10، 2014م، ص: 492.

ومتحركا لمقاربة الخطابات، تؤمن بدور الجمهور، وتعطيه مركز السبق في العملية التحليلية نظرا لفاعليته، ودوره الإيجابي المفترض بلاغيا، وتواصليا. فضرورة التعامل مع اللغة في مجملها بمنطق الشك، والممارسة؛ إذ لا يمكن فصل اللغة والبلاغة عن المنتج، وعن ممارساته وأغراضه الأيديولوجية، وابتغائه ترسيخ ثقافة معينة.

إن لكل حركة سياسية قاموسها اللغوي، ولها أساليبها الخاصة في الحجاج، والإقناع والتأثير، ولكل قوة سياسية لغتها، وخطاباتها، وبلاغتها؛ فلغة الأحزاب الدينية تستند إلى الدين وتحاجج بالنصوص، وتعطي الصدارة للجاهز، والتراث، وتحتفي بالمقدس، والمطلق، ولغة العلماني تنحو نحو العقلانية، وتعتمد المنطق، والحجج المقنعة. والسياسي يعتمد على اللغة كوسيلة فعالة؛ لتثبيت الحكم، وضمان استمراريته، والقبول بأخطائه، وفعلاته، وزلاته، مهما عظمت، أو فضعت، بل إن اللغة كثيرا ما تتصدر الجيوش في المعارك، والحروب. فيعتمد الساسة في خطبهم على كثير من الحجج، وآليات التحايل، والتلطيف، والتعبير غير المباشر والكناية، والتمثيل، والتورية، وغيرها من الأساليب، التي تصل توسل الحاكم ببعض الكتاب المناسبين لتأدية المهمة. هذا ما اعتمده "ياسر عرفات" حينما استعان بالشاعر "محمود درويش" في كتابة خطابه، الذي ألقاه أمام الأمم المتحدة، بتاريخ: 1974/11/31م. وأحيانا اعتماد الارتجال والمفاجأة أو ما يعرف بظاهرة "الصدمة الكهربائية".

أما من الناحية بلاغة الجمهور، أو بلاغة الشعوب فتكمن في كونها قادرة على اكتشاف الدور الخطير، الذي يمكن أن تلعبه الخطابة السياسية في صناعة وعي الناس؛ فيعتمد الخطاب على استعارات سياسية خاصة له، يعمد من خلالها إلى إقامة علاقات تواصلية، خفية مع الجمهور، قد لا ينتبه إليها المخاطَب، وبالرغم من ذلك فالتأريخ للخطاب السياسي لاقى إجحافا كبيرا، يقول "عماد عبد اللطيف" «لقد اقتصر التأريخ للخطابة عادة على مجرد التأريخ لحياة الخطباء وخطبهم، لكننا ندرك أن تاريخ الخطابة أكبر واشمل من ذلك بكثير، فتاريخ الخطابة هو تاريخ الجمهور الذي يتلقى الخطاب، والمجتمعات التي يتم فيها انتاجها، وإلقاؤها، وتلقيها وتاريخ كُتاب الخطب اللذين يشطرونها، وأخيرا تاريخ الخطباء الذين يلقونها، هذا الإدراك لأوجه

المختلف لتاريخ الخطابة»[1]، لذا تعددت تعاريفه، وتشعبت «إنه تفاعل بين طرفين، أو أكثر من خلال قناة معينة حول قضية معينة»[2]

أما ما يهم في دراستنا للخطاب السياسي الاتصال السياسي، وبالأخص دراسة الاتصال الدولي "international communication" وهو اتصال معقد؛ لأنه يتجاوز حدود الوطن أو الأمة، ويوجه إلى جماهير ذوي أجناس وأوطان وثقافات وحضارات مختلفة، مثل الخطابات التي توجه إلى شعوب العالم في مجلس الأمن، وأثناء الحروب، ومعاهدات السلام؛ لخلق رأي عام دولي، يتبنى موقف صاحب الخطاب، وهذا النوع تتعدد لغة المشاركين فيه، ودياناتهم، وجنسياتهم، ومشاربهم السياسية، وحضاراتهم، وعلاقاتهم بصاحب الخطاب، ومن ثم يمثل هذا النوع أصعب أنواع الاتصال السياسي؛ لأنه يتطلب من المتكلم وعيا ودراية كاملة، وحصافة أثناء اتصاله بهذا الجمهور[3]

وهو النوع الذي سيكون موضوع الدراسة.

[1] عماد عبد اللطيف: الخطابة السياسية في العصر الحديث، ص: 11.

[2] مجموعة من المؤلفين: موسوعة السياسة، جامعة الكويت، 1993م، 1994م، ص: 465.

[3] محمود عكاشة: لغة الخطاب السياسي، دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال، دار النشر للجامعات، القاهرة، مصر، ط01، 2005م، ص، ص: 29، 30.

الفصل الأول: الحجاج والخطاب السياسي

1.مفهوم الحجاج

2.الحجاج عند الغرب

3.الحجاج في ضوء البلاغة العربية

4.نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان "Chaïm Perlman" ولوسي أولبرخت تيتكا "Lucie Olbracht-tyteca"

أولا: مفهوم الحجاج

1. الحجاج في المعجم:

الحجاج مصطلح قديم تعددت معانيه المعجمية والاصطلاحية، فلا تكاد تخلو معاجم اللغة العربية القديمة من الجذر (حَجَجَ)، وتصاريفه المختلفة، فقد جاء في معجم المقاييس "لأحمد بن فارس" (ت 395هـ) قوله: «يقال حاججت فلانا فحججته؛ أي غلبته بالحجة، وذلك الظفر يكون عند الخصومة. والجمع حجج، والمصدر الحجاج»[1]

والحجة يراد بها البرهان، والدليل الذي يدفع الخصم، وهذا ما أكده أبو هلال العسكري (ت 395هـ) في كتابه "الفروق اللغوية" يقول: «... وتأثير الحجة في النفس كتأثير البرهان فيها، وإنما تنفصل الحجة من البرهان؛ لأن الحجة مشتقة من معنى الاستقامة في القصد»[2]

أما "ابن منظور" (ت 711هـ) في لسان العرب فيعرفه بقوله: «والتّحاج: التخاصم، وجمع الحجة: حُجَجٌ وحِجَاجٌ، وحَاجةٌ محاجاة وحجاجًا: نازعه الحُجّة، وحججه يحجّه حجًا: غلبه على حجته، وفي الحديث فَحَجَّ آدم موسى؛ أي غلبه بالحجة /.../ والحجة البرهان»[3] فالحجة عنده التخاصم بين طرفين أو أكثر؛ جعله مرادفا للجدل من جهة، وملازما لتقديم البرهان من جهة أخرى.

وقد ورد مصطلحا الحجاج والجدل مترادفين عند القدماء «ومن ذلك أبا الوليد الباجي (ت 474هـ) عنّون كتابه وهو في علم أصول اللغة بـ (المنهاج في ترتيب الحجاج) مستخدما في العنوان لفظ الحجاج مرادفا للجدل»[4]، ويقول في مقدمة الكتاب: «أما بعد فإني لما رأيت بعض أهل عصرنا عن سبيل المناصرة ناكبين، وعن سنن المجادلة عادلين /.../ زمعت أن أجمع كتابا في الجدل»[5]

---

[1] ابن فارس: معجم المقاييس في اللغة، تح: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط 01 (د، ت)، ص: 250.

[2] العسكري أبو هلال: الفروق اللغوية، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، ط 01 (د، ت)، ص:70.

[3] ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، مادة (حجج)، م2، ص: 226.

[4] عبد الله صولة: في نظرية الحجاج، دار مسيكيلياني، تونس، 2011م، ص: 12.

[5] المرجع نفسه، ص: 12.

يقول "الزركشي" (ت 794هـ) في كتابه (البرهان في علوم القرآن): «في فصل معرفة جدله؛ أي جدل القرآن لم يرد عنه لفظ "جدل" بل وظف ألفاظ "المحاجة" و"الحجاج" و"الاحتجاج" وكذلك "الحجة"»[1]

نستخلص أن الحجاج ورد بمعنى الجدل، لكن "عبد الله صولة" لخص الحجاج في ثلاثة مفاهيم: [2]

- مفهوم يجعله مرادفا للجدل، ونجده عند القدماء، وبعض المحدثين العرب.
- ومفهوم يجعله قاسما مشتركا بين الجدل والخطابة خاصة، ونجده عند اليونان
- ومفهوم في العصر الحديث لدى الغرب، قائم بذاته كمبحث فلسفي ولغوي

يفرق "عبد الله صولة" بين الحجاج والجدل والخطابة، من الجانب المفاهيمي للمصطلح، معتمدا في ذلك على التقسيم الزمكاني للمصطلح، القديم /الحديث – الغرب/العرب.

أما عند "الطاهر بن عاشور" (ت 1973م) فنجده فرق بين الحجاج والجدل وحجته في ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ﴾ {البقرة، الآية: 258} وردت كلمة حاج بمعنى خاصم، وهو فعل جاء على زنة المفاعلة، ووردت بمعنى الخصام بباطل، وفي شأن الجدل ورد في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾﴾ {النساء، الآية: 107}[3]

فالجدل ورد بمعنى القدرة على الخصام والمنازعة بالقول لإقناع الغير، فالجدل يرد في الخير كقوله تعالى:﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾﴾{هود، الآية: 74} وتكون في الشر كقوله:﴿وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾ {البقرة، الآية:197}[4]

---

[1] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط02، ج02، ص- ص: 24-27.

[2] عبد الله صولة: ألحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار المعرفة، منوبة، تونس، ط01، 2001م، ص: 08.

[3] الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، الدار التونسية، (د، ت)، ج03، ص، ص: 31، 32.

[4] المرجع نفسه، ص: 60.

يبدو أن المعنى واحد، وهو المخاصمة، لكنها في الحجاج قائمة على الباطل، أما في الجدل ترتبط بالحق، وبالباطل على حدّ السواء.

اعتمد "الطاهر بن عاشور" في التفرقة بينهما على القرآن الكريم كمدونة. ومن خلال ما ورد نستنتج ما يأتي:

- الحجاج أوسع من الجدل، والحجاج شامل له، فكل محاج مجادل، وليس كل مجادل محاجج.
- كل إنسان قادر على الحجاج سمي مجادلا، فالجدل منازعة بالقول لإقناع الغير.
- لا جدال إلا حيث الاختلاف في إدراك حقيقة من الحقائق
- الغرض من الجدل إلزام الخصم والتغلب عليه في مقام الاستدلال على عكس الحجاج.

2. الحجاج اصطلاحا:

تزيح نظرية الحجاج الفكرة الشائعة بأن الوظيفة الأساسية للغة هي الوظيفة التواصلية الإخبارية، وترسي مكانها فكرة جديدة تجعل الوظيفة الحجاجية هي الوظيفة الأساسية للغة. فهو مصطلح يقصد به المعارضة على سبيل المنازعة والمغالبة لإلزام الخصم.

ويقول "محمد سالم محمد الأمين الطلبة": «مهما كان في هذا الخطاب الموجه من عنف إلا أنه يظل مقبولا لخلوه من التسلط الجسدي والروحي، فأنت تصبح منقادا بإرادتك ووعيك إلى إنجاز أفعال أو سلوكيات معينة؛ لأن البلاغة بصفة عامة والحجاج بصفة خاصة، يمكنا المتكلم من وسائل كثيرة للوصول إلى المخاطب وزحزحته عن موقعه»[1]

ونفهم من هذا أن الحجاج علاقة خطابية تستوجب طرفا الخطاب، باث / متلقي، تسعى إلى إثارة النفوس وكسب العقول كما تهتم بالوسائل التي بها يتطور الخطاب فتتجاوز كل ذلك لتبحث عن الآثار الناجمة عنه وتلتقي البلاغة بالحجاج «الانتقال من الرغبة في إنتاج الخطاب

[1] محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط01، 2008م، ص: 12.

إلى دراسة خصوصياته؛ أي أنها تخلت عن نزعتها المعيارية المتمثلة في فرض القواعد لتهتم برصد الوقائع فقط، فهي تتحول من لغة موضوع إلى لغة واصفة»[1]

ويقول طه "عبد الرحمان" في تعريف الحجاج: «هو كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه، دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها»[2]

ولا يكون المنطوق به خطابا حتى يكون للمنطوق له حق المطالبة بالدليل، ليقع الاعتراض؛ لأنه إذا فقد حق الاعتراض جعله ذلك دائم التسليم وغير مشارك في الخطاب، إضافة إلى الاختلاف، فالحجاج لا يكون فيما هو متفق عليه، وإنما فيما هو محتمل.

يعرف "شاييم بيرلمان ch. Perlman" الحجاج بقوله: «جعل العقول تذعن وتسلم لما يطرح عليها من الأقوال أو يزيد في درجة ذلك الإذعان وذلك التسليم، فأنجع الحجاج وأنجحه ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى لدى السامعين بشكل يبعثهم على عمل المطلوب»[3]

ويرتبط الحجاج عنده بالغاية لا بالماهية، فغرضه الإقناع، ليتجه المحاجج بخطابه نحو المتلقي، أو الأثر الإقناعي، فمجال البحث الحجاجي هو الإقناع «هذان الطرفان ينخرطان في التواصل الحجاجي محملين بكل انفعالاتهما ونوازعهما واعتقاداتهما وأيديولوجياتهما وثقافاتهما وكفاءاتهما العلمية وغير العلمية»[4]

واللغة المتوسل بها في الحجاج هي اللغة الطبيعية المحملة بالشوائب (الاستعارات، الإيحاءات، الاشتراك اللفظي...)، وهي بالتالي نقيض اللغة العلمية المصنوعة، والاصطلاحية. وهذا ما يؤكده "محمد عكاشة" في حديثه عن الحجاج في القرآن الكريم «يعد الحجاج طريقة

---

[1] طه عبد الرحمان: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الرباط، المغرب، ط01، 1998م، ص: 226.

[2] المرجع نفسه، ص: 08.

[3] نور الدين بوزناشة: الحجاج بين الدرس البلاغي الغربي والدرس العربي اللساني، دراسة تقابلية مقارنة، المشرف: صلاح الدين زروال، كلية الآداب واللغات، قسم الأدب العربي، سطيف، الجزائر، 2015م، 2016م (أطروحة دكتوراه).

[4] محمد الوالي: «مدخل إلى حجاج أفلاطون وأرسطو وشاييم بيرلمان» عالم الفكر، ع02، مج40، أكتوبر، ديسمبر 2011م، ص: 11.

في استعراض الحجج وتنظيمها في منظومة تحليلية، تبحث عن فاعلية اللغة، وأثرها في تواصل، وتقنية التأثير والتأثر»[1]، فالحجاج تفعيل للغة أثناء التواصل.

ثانيا: الحجاج عند الغرب

1. الحجاج والبلاغة في الحوار الأفلاطوني مع السفسطائيين:

لقد اشتهر "**أفلاطون**" بمعاداته القوية للبلاغة الإقناعية، باعتبارها تقوم على الرأي، والسفسطة: «لقد اعتبرت السفسطة حركة فلسفية وظاهرة اجتماعية برزت خلال القرن الخامس عشر قبل الميلاد، وقد تميز روادها بالكفاءة اللغوية، والبلاغة وبالخبرة الجدلية، ويتجلى ذلك من خلال تسميتهم التي كانت تعني، الحكيم الخبير بكل فن وأسلوب»[2]

تم بناء الحجج السفسطائية على فكرة المنفعة واللذة، والهوى، وهذا ما أكده "أفلاطون" في محاورته لـ "قورجياس" إذ نجده يقول: «.....القول الخطبي (السفسطائي) لا ينحصر في جنس الخطابة، وإنما هو قول زئبقي يمكن له أن يتسلل ليحرر الخطابة من شرط تحديد الموضوع إلى فضاءات، وأجناس من القول أخرى، وله مع ذلك سمات تيسر تعريفه، فهو قول إثباتي، غير جدالي لا يقوم على المساءلة، يعقده صاحبه على "**الظن**" لا على "**العلم**" ويقصد به الإقناع، معتمدا في ذلك ما يوافق "**اللذة**" لذة السماع والقائل، لا "**الخير**" فالخطابة السفسطائية كما يبدو في محاورة "قورجياس" هي حجاج استهواء»[3]

اعتمد "أفلاطون" معايير مخالفة لمعايير السفسطائيين مقابل اللذة يطرح أفلاطون معيارا آخر وهو الخير، أما معيار الظن فيقابله العلم، كون الحجج السفسطائية لا تخدم غرض المحاجج، وحجته في ذلك أن الإقناع وجب فيه الاعتماد على العلم والمعرفة، أما المبني على الظن والمحتمل فالإفادة منه منتهية.

---

[1] محمود عكاشة: تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والإقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط01، 2013م، ص: 47.

[2] محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، ص: 24.

[3] هشام الريفي: «الحجاج عند أرسطو» ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، إشراف: حمادي صمود، جامعة تونس، منوبة، كلية الآداب، ص: 51.

وارتبط الخطاب الحجاجي واشتغاله بالخطاب الاستشاري السياسي " Délibération Politique" والقضائي "Judiciaire" والاستدلالي "épidictique" وهي الأنواع الثلاثة الأساسية لمنشئته[1]، «إن سلطة الكلام التي يحصل بها الإقناع المؤدي لحركية المواقف وتبدل المواقع، تصطدم بجهود المجتمع الذي يدافع عنه أفلاطون؛ ليصبح عادلة فقط عندما يحكم الحاكم، وعندما يعمل العامل، وعندما يظل العبد عبدا، وليس عندما يشيع الاختلاف والتعبير الفردي عن الرأي»[2]

هناك أسباب عدة جعلت أفلاطون معاديا للسفسطة نوجزها فيما يلي:[3]

- انكسار طموحه الشخصي في السياسة حتمت عليه ألا ينخرط بما كان يسميه "الديماغوجية" و"التملق"، اللذان كانت تعج بهما الساحة العامة.
- الإحالة بينه وبين مشروعه التعليمي "إنشاء أكاديمية" لقدرة السفسطائيين والخطباء على استقطاب الشباب.
- لا ينجز العلم بالحقائق إلا الفلاسفة؛ لأنّ الحكمة من شأنهم، وهم الأعرف بمسالك قيادة الأفراد نحو العدالة «إن البشرية لن تضع حدا للشر إلا عندما يتمتع الفلاسفة الحقيقيون بالسلطة السياسية»
- معاداته للديمقراطية التي كان السفسطائيون من دعاتها في خطبهم وأقوالهم.

لهذه الأسباب وغيرها تم إقصاءها من طرف أفلاطون، ومقابل ذلك نجد جورجياس في محاورته مع أفلاطون الشهيرة يقول: «إن الخطابة هي الخير الأعلى حقا، تمنح من يحذقها الحرية في نفسه، والسيطرة على غيره من الناس في وطنه /.../ تحتضن في ذاتها السلط جميعا، وتخضعها لهيمنتها»[4]، فالخطيب على رأيه ينتصر للحق كما يتنصر للباطل كون الحقيقة والخير شيء نسبي ذاتي.

---

[1] فليب بروتون وجيل جوتييه: تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناجي الغامدي، مركز النشر العلمي، ط01، 2011م، ص: 17.

[2] عبد اللطيف عبد الله: بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان، ط01، 2013م، ص: 35.

[3] المرجع نفسه، ص-ص: 35-37

[4] المرجع نفسه، ص: 30.

من خلال هذا الطرح المعياري للسفسطة أعيد النظر في هذه الحركة، فنجد مجموعة من الباحثين أعادوا قراءة محاوراتهم ليقفوا على الرؤية المأساوية للوجود الإنساني في الفكر القديم، ووجد فريق ثان فيهم الإيمان بنسبية المعرفة في تخومه القصوى.[1] فهي: «لا تهتم باكتشاف الحقيقة مع توجيه خاص لتلك الحقيقة، إنه يعرض أمام الآخرين وجهة نظر /.../ نحو مطالب الحياة العملية ومطالب المجتمع»[2]، وهناك من اعتبرهما الواضعين الحقيقين لعلم الخطابة، كما صرح عبد الرحمان بدوي.[3]

أما "حمادي صمود" فيلخص مزايا بلاغتهم في: [4]

- القول بتضاد الأصوات Antiphonie بمعنى أن لكل خطاب خطابا مضادا، ولكل حجة حجة تنقضها؛ لأنها تبنى على رؤية مخالفة للأشياء، تصف واقعا مغايرا.
- التنبيه إلى ما قد يرشح عن الأقيسة من أغاليط وضرورة بناء نظام للقياس وتعديله، وذلك بزرعهم الحيرة والمفارقة في المشهورات، وهذه الشعبة من الدرس ستزدهر فيما يسمى "البرالوجيسم" أو القياس المغالطي.
- رسمهم مفهوم الاحتمال أفقا لتعامل الناس وتفاعلهم مع بعضهم.
- اتقانهم المجادلة وكل صنوف المحاورات التي تقوم على الاستدلال المنطقي بقواعد مضبوطة.

إن الخطاب البلاغي بوصفه إنشاءً احتماليا من أقصى حدود التخييل إلى أقصى درجات التصديق، تحده عتبتان افتراضيتان: عتبة الهدر؛ حيث ينعدم مفهوم النص، وعتبة البرهان، والتجريب؛ حيث تحسم الخلافات فتفض المنازعات بالعدّ والكيل، والوزن.[5]

---

[1] هشام الريفي: «الحجاج عند أرسطو» ص: 52.

[2] نجيب بلدي: دروس في تاريخ الفلسفة، أعدها للنشر: الطاهر وعزيز، وكمال عبد اللطيف، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط01، 1987م، ص: 65.

[3] عبد الرحمان بدوي: ربيع الفكر اليوناني، وكالة المطبوعات، دار القلم، بيروت، لبنان، ط01، 1979م، ص: 171.

[4] حمادي صمود: «مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح» ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، سلسلة آداب، جامعة الآداب والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، منوبة، تونس، ص: 45.

[5] محمد العمري: «المغالطة في فضاء الاحتمال» مجلة سياقات اللغة والدراسات البينية، ع05، مج02، أفريل 2017م، ص: 01.

وخلاصة القول إن السوفسطائيين كان لهم أثرهم في تطوير الدراسات المنطقية؛ حيث وجهت آراؤهم سقراط لوضع فلسفة التصور، واكتشاف مبدأ عدم التناقض، وتأسيس علم المنطق.

2. التنظير للحجاج عند أرسطو:

يعد "**أرسطو**" أول من استعمل المنطق كأداة للبرهنة كونه يميل إلى بيان طرق البرهنة، والقياس «ميز بين ما كان منها علما نظريا غايته المعرفة، كالفيزيقا، والرياضيات، والفلسفة الأولى، وما كان منها غايته السلوك، مثل الأخلاق والسياسة، وما كان منها إنتاجا غايته إنتاج شيء جميل، ومفيد مثل فن الشعر، أما المنطق فلم يذكره ضمن هذه العلوم /.../ لأنه يدرس التفكير الذي يستخدم فيها جميعا، بل يدرس أيضا التفكير الذي لا يدخل نطاق العلم، كالتفكير الشائع عند جمهور الناس، والذي يستخدم في البلاغة»[1]

لقد أدرك "**أرسطو**" أن هناك منطقا خفيا يحكم البلاغة، منطق مختلف عن المنطق المتعارف عليه، وهذا ما أكده "بيرلمان" بقوله: «مثلما سعى إلى دراسة الاستدلالات التحليلية Raisonnements Lytique من قبيل الأقيسة المنطقية Syllogisme كان قد أولى عناية كبيرة للبحث فيما يطبق عليه بالاستدلالات الجدلية Raisonnements Dialectiques التي نستعملها في نقاشاتنا وحواراتنا العادية»[2]

وميز "**أرسطو**" بين العلم والحجاج، فالأول يعتمد على الحقيقة، أما الأخير فيعتمد على الرأي، وبالتالي فالتأليف بين الحقائق ينتج عنه الاستدلال التحليلي.

والتأليف بين الآراء يتبع عنه الاستدلال الجدلي إضافة إلى أن الاستدلالات التحليلية برهانية، وغير شخصية لا تحتاج إلى تزكية من قبل المتلقي، على عكس الاستدلالات الجدلية التي تبنى على الآراء المقبولة من قبل المتلقي والمتعارف عليها.

---

[1] محمد فتحي عبد الله: الجدل بين أرسطو وكانط "دراسة مقارنة"، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، لبنان، ط01، 1995م، ص: 33.

[2] Ch.perlman: philosophie, rhétorique, lieux commuas, extrait du bulletin de l'académie royale de Belgique (classe des lettres et des sciences morales et politiques) 5 série – TOM LVIII, imprimé en Belgique 1972, P-P: 144-156

تر: أنوار الطاهر 2017/04/27 الموقع الالكتروني الحوار المتمدن www.ahewar.org

الخطابة عند "**أرسطو**" هي: «صناعة مدارها إنتاج قولي تبنى به الإقناع في مجال المحتمل، والمسائل الخلافية القابلة للنقاش، بمعنى أنها علاقة بين طرفين تتأسس على اللغة والخطاب، يحاول أحد الطرفين فيها أن يؤثر في الطرف المقابل جنسا من التأثير يوجه به فعله أو يثبت لديه اعتقادا، أو يمليه عنه، أو يصنعه له صنعا»[1]

عمد "**أرسطو**" في تحليل التقنيات الحجاجية ومعيار قوة الحجة L'argument على طريقة التقسيم Appréciation والحكم على موضوع النقاش من خلال المخاطِب، والمخاطَب، وعلى ما يبلغه من حالة تثبت من الحجة إلى حد القناعة، فالتأثير لن يحصل بفعل إغواء معين، يمارس اتجاه رغبتنا، وعواطفنا، بل مبنيا على استدلالات وإثباتات، وبالتالي فالبلاغة لم تكن تتجاهل "الإيتوس Ethos" و"الباتوس Pathos" ودورهما في الإقناع، لتؤكد على أهمية "اللوغوس Logos" بوصفه "خطابا Discours" [2]

إن الخطاب حامل للغة، هذه اللغة الحاملة بدورها للمنطق، يحكمها من جهة ولمخزون الفكري والثقافي والعاطفي من جهة أخرى، لذا يعتبرها أرسطو «مشكلة؛ لأن الحدود فيها بين ما هو لغوي، وما هو فكري»[3]، لذلك تزامن ميلاد الخطابة مع ميلاد اللغة، لتتأسس دراسة الحجاج على دعامتين «أولها الاستدلال، وثانيها تقوم على البحث اللغوي الوجودي»[4] ومن خلال هاتين الدعامتين يتشكل الاستدلال الحجاجي والذي اعتبره أرسطو «تفكير عقلي بواسطته يتم إنتاج العلم»[5]

تم انفصال بلاغة أرسطو عن بلاغة السفسطائيين، والبلاغيين، الذين سبقوه، أفلاطون، بلغاء صناعة الكلام...من خلال: [6]

- البلاغة عنده آلية غير مبالية بالأخلاق (على عكس أفلاطون) فهي تفتقد إلى الحس الأخلاقي (Amorale) ولكنها في نفس الوقت ليست منافية له، أو ضده (Immoral)، فهي

---

[1] حمادي صمود: «مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح»، ص: 12.

[2] أنوار الطاهر: الموقع الالكتروني الحوار المتمدن www.ahewar.org

[3] المرجع السابق، ص: 13.

[4] محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص: 36.

[5] أرسطو طاليس: الخطابة، تح: عبد الرحمان بدوي، دار القلم، بيروت، (د، ط)، ص: 245.

[6] فليب بروتون وجيل جوتييه: تاريخ نظريات الحجاج، ص، ص: 28، 29.

تحيل بالشخص إلى ضميره، وإلى مسؤولياته أمام المدينة، وأداة نستخدمها للخير والشر، للعدل وللظلم.

- البلاغة تقنية حجاجية قابلة للصواب، وليس للحقيقة. من خلال هذا الفصل المزدوج عن الأخلاق، وعن الحقيقة حدد البلاغة، وسمح لها بالتطور كتقنية.
- تميز عن صناع الكلام الذين كانوا يقدمون دروسا بمقابل مادي، ويتم حفظها، هذه الدروس في مجملها ترد بصيغة الأسئلة، وبالتالي فهم يدرسون نتيجة الفن، وليس الفن في ذاته، مستخدمين الشفقة والغضب ...الخ، أما "أرسطو" فبلاغته بلاغة استدلال أكثر منها بلاغة مشاعر، لقد تجاوزت بلاغة أرسطو بلاغة أفلاطون الذي حصرها في النقاش الفلسفي أما صناع الكلام فحصروها في المحكمة؛ لتصبح نظرية ولها بعد عام.

واعتبر السياسة موضوعا أساسيا للخطابة، وأداة لممارسة الحكم، فهي العلم الأسمى؛ لأنها تسعى إلى إسعاد المواطنين، أما بقية العلوم فهي تابعة لها، تحكمها علاقة التعدية، فكل ما سمت الخطابة سمت بقية العلوم، وكلما انحطت تنحط بقية العلوم، تبعا لها، يقول "أرسطو" في كتابه "أخلاق نيكوماخ": «النقطة الأولى التي ينبغي أن نعتبرها بديهية هي أن الخير يشتق من العلم الأسمى، العلم الأهم من بين كل العلوم، الذي هو علم السياسة، إنه العلم الذي يحدد ما هي العلوم الضرورية لقيام الدول، أو الحواضر، ما هي العلوم التي ينبغي للمواطنين أن يقبلوا على تعلمها، وبأي مقدار ينبغي امتلاكها، وفوق ذلك ينبغي أن نلاحظ أن العلوم التي تستحق التقدير الأعظم هي تلك التابعة للسياسة»[1] لقد أكد "**أرسطو**" على العلاقة القائمة بين البلاغة والسياسة؛ فالسياسة سيدة الفنون والعلوم، فهي من منظوره توفر الالتحام والاشتراك والتواصل والقيم العليا كالأخلاق، والعدل، هذه المعايير تحكم كافة العلوم وتتجلى في السياسة؛ لذا جعلها متعالية على بقية العلوم.

ميز أرسطو بين نوعين من الحجج:

[1] محمد الولي: «في خطابة أرسطو الباتوسية» مجلة علامات، مكناس، المغرب، ع26، أفريل 2006م، ص: 43.

- **تصديقات غير صناعية Preuves extra Technique**

وهي حجج جاهزة لا دور للخطيب في ابتكارها، وعدّها أرسطو من أضعف الحجج المعتمدة في الخطابة يقول: «...فأما التصديقات فمنها بصناعة، ومنها بغير صناعة، تلك اللاتي ليست تكون بحيلة منا، لكن بأمور متقدمة كمثل الشهود والعذاب والكتب والصكاك وما أشبه ذلك»[1]

- **تصديقات صناعية Preuves Technique**

وهي تصديقات يشنها الخطيب باجتهاده وهو النوع الأهم حسب "أرسطو"، فمن خلال تتبعنا لمستويات تحليله للحجاج المنتج بالقول؛ أي الصناعي في "المواضع" و"التكتيبات" و"الخطابة" يتبين لنا ذلك.[2]

يقول "أرسطو": «وأما اللاتي بالصناعة فما أمكن إعداده وتثبيته على ما ينبغي بالحيلة بأنفسنا»[3]

ثالثا: الحجاج في ضوء البلاغة العربية

لقد سعى اهتمام البلاغيين القدامى بالحجاج بوصفه وجها من أوجه البلاغة، رغم أن العناية به لم تكن بالغة كما هو الحال مع غيره من المباحث البلاغية الأخرى، إذ كان موزعا بين باب الاستدلال والاستشهاد وغيرها.

1. الجاحظ: الاتجاه الأدبي الخطابي

يقول "**الجاحظ**": «البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان ذلك الدليل؛ لأنه مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنما

[1] أرسطو طاليس: فن الخطابة، تر: عبد الرحمان بدوي، ص: 09.

[2] هشام الريفي: «الحجاج عند أرسطو»، ص: 160.

[3] المرجع السابق، ص: 04.

هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغه الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع»[1]

يتلخص موضوع البيان في المعرفة والإقناع، مرتبطا بالوظيفة الإفهامية والإقناعية، إلا أنه لم يفرق بينهما، فيفهم من كلامه أن البيان يحمل بعدا إجرائيا تداوليا، يتمثل في الإفهام.[2] ويتشارك "بيرلمان" مع "الجاحظ" في الهدف من البيان أو بعبارة أصح الحجاج يقول "بيرلمان": «الحجاج دراسة تقنيات الخطاب التي تسمح بإثارة تأييد الأشخاص للفروض التي تقدم لهم أو تعزيز هذا التأسيس على تنوع كثافته»[3] ربط الوظيفة الإفهامية والإقناعية بالمقام الخطابي يقول "الجاحظ": «ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات» نخلص إلى أن من شروط البيان ما يختص بالمتكلم والسامع ومنها ما يختص بالوسائل اللغوية وغير اللغوية.

ونجده في موضع آخر يعد الاستدلال والنظر أول درجة في سلم اليقين والتوسل بهما إلى الحقيقة والمعرفة يقول في كتابه "الحيوان": «فاعرف مواضع الشك وحالاتها الموجبة له لتعرف بها مواضع اليقين والحالات الموجبة له وتعلم الشك في المشكوك فيه تعلما، فلو لم يكن في ذلك إلا تعرف التوقف ثم التثبت لقد كان مما يحتاج إليه»[4]

2. ابن وهب: الاتجاه المنطقي الفقهي

يمثله "**ابن وهب**" في كتابه "**البرهان في وجوه البيان**"؛ فعالج البيان في كتابه وقسمه إلى أربعة أوجه: باب الاعتبار، باب الاعتقاد، باب العبارة، باب الكتاب، يقول: «فمنه بيان الأشياء

---

[1] الجاحظ: البيان والتبين، تح: درويش جويدي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ط01، 2003م، ج01، ص: 56.

[2] نور الدين بوزناشة: الحجاج بين الدرس البلاغي الغربي والدرس العربي اللساني "دراسة تقابلية مقارنة"، ص: 213. (أطروحة دكتوراه).

[3] صلاح فضل: "بلاغة الخطاب وعلم النص"، عالم المعرفة، ع164، أغسطس 1992، ص: 73.

[4] الجاحظ: الحيوان، تح: عبد السلام هارون، الناشر محمد الباجي الحلبي، ط02، 1965م، ج06، ص: 35.

بذواتها وإن لم تبين بلغاتها، ومنه البيان الذي يحصل في القلب عند إعمال الفكر واللب، ومنه البيان باللسان [ومنه البيان بالكتاب] وهو الذي يبلغ من بعد وغاب»[1]

- **بيان الاعتبار:**

من أهم مستويات التواصل الذاتي وهو الذي تبين فيه الأشياء لمن تبين وتعبر بمعانيها لمن اعتبر لقوله تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٣٥﴾ {العنكبوت، الآية: 35}، والاعتبار إما ظاهر مدرك بالحس، كالفرق بين السماء الصافية والغائمة، ويدرك بحاسة النظر، ومنها ما يدرك بالعقل، وتتساوى في الإدراك من الأشياء البسيطة الظاهرة، كالزوج خلاف الفرد، وقس على ذلك.

يقول ابن وهب: «والنتائج ثلاث: ما يصدر عن قول مسلم في العقل لا خلاف فيه، فتكون النتيجة عنه برهانا، كقولنا: إذا كان الزوج ما ركب من عددين متساويين، فللأربعة زوج، والأخرى ما صدر عن قول مشهور إلا أنه مختلف فيه، فتكون النتيجة عنه إقناعا، كقولنا: إذا كان حق الباري عز وجل واجبا؛ لأنه علة وجودنا، فقد وجب حق الوالد أيضا [علينا] وصحة هذه النتيجة إنما تقع بالاحتياج لمقدمتها حتى يعترف بها من لا يعترف، ثم تصح والثالثة ما صدر عن قول كاذب وضع للمغالطة كقولنا: إنّ اللصوص يخرجون بالليل [للسرقة]، ففلان سارق؛ لأنه خرج بالليل، وهذا باطل؛ لأن السارق ليس هو سارق من أجل خروجه ولا كل من خرج بالليل فهو سارق»[2]

أما الباطن والمقصود به ما اختلف حوله، ويتوصل إليه عن طريق القياس «والطريق إلى علم باطن الأشياء في ذاتها، والوقوف على أحكامها، ومعانيها من جنسين القياس والخبر»[3]؛ أي أنه يحتاج إلى دليل وبرهان، وهو غير متأتي لجميع البشر، إنما لمن تدبر، وتبين، وتوسم؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ٧٥﴾ {الحجر، الآية: 75}، والقياس عنده يبنى على مقدمات كبرى، وصغرى، ونتيجة، وهنا يحصل الالتقاء بينه وبين المنطق الأرسطي يقول: «ليس يجب القياس إلا عن قول بتقدم، فيكون القياس نتيجة، كقولنا: إذا كان الحي

---

[1] ابن وهب الكاتب: البرهان في وجوه البيان، تح: أحمد مطلوب، وخديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، العراق، ط01، 1967م، ص: 60.

[2] المرجع نفسه، ص: 87.

[3] المرجع نفسه، ص: 73.

حساسا متحركا، فالإنسان حي»[1] ويتم عن طريق لمشاكلة، المضادة، العرض، الفعل، ويتقاطع مع بيرلمان في الممكن أو المختلف.

- **بيان الاعتقاد:**

وهو نتيجة البيان الأول ويحصل في القلب عند إعمال الفكر واللب، فما ثبت من معاني أضحت من الاعتقاد، وله ثلاثة أضرب:[2]

– حق لا شبهة فيه: يظهر عن مقدمات قطعية، أو مقدمات ظاهرة في العقل، أو عن مقدمات خلقية مسلم بها.

– علم مشتبه فيه: يحتاج إلى تقوية وتثبيت، بإقامة الحجة على صحته.

– باطل لا شك فيه: يظهر عن مقدمات كاذبة، مخالفة للطبيعة، مضادة للعقل، ويمثل بذلك باعتقاد السفساطائيين.

- **بيان العبارة:**

وهو البيان بالقول (النطق باللسان)، وباللسان يفصح عنه، وهو أعم، وأنفع لاشتراك الإنسان فيه مع غيره ويختلف باختلاف اللغات.[3]

- **بيان الكتاب:**

الذي بلغ من بَعُدَ وغاب، فالقلم ينطق في الشاهد الغائب، ويتعدى حدود الزمان والمكان.[4]

3. السكاكي: الاتجاه البلاغي المنطقي.

لقد أضفى "**السكاكي**" على البلاغة صبغة الاستدلال المؤطرة لعلم المعاني، والبيان، في كتابه "مفتاح العلوم"، يقول شكرى المبخوت عن كتاب "مفتاح العلوم": «إن هندسة مفتاح العلوم، واهتمام من جاء بعد "السكاكي" بالقسم البلاغي من الكتاب يكشفان عن أمرين: أحدهما ليس لاعتباره كتابا بلاغيا مسوغا ترتبط بمشروع "السكاكي" نفسه، وبمادة الكتاب وبمنزلته من

[1] ابن وهب الكاتب: البرهان في وجوه البيان، ص: 77.

[2] المرجع نفسه، ص: 88.

[3] مبروك صيشي «توجهات مفهوم الحجاج في التراث البلاغي الغربي»، مجلة إشكالات، منتوري، قسنطينة 01، الجزائر، ع01، مج07، 2008م، ص: 305.

[4] المرجع نفسه، ص: 306

تاريخ البلاغة العربية، والآخر أن وجود باب للاستدلال في كتاب البلاغة مثير للانتباه، دافع إلى التساؤل عن علاقته بمشروع علم الأدب ومدى الحاجة إليه في بناء موضوع البلاغة»[1]

يظهر توجه "السكاكي" من خلال كتابه مفتاح العلوم، الذي قسمه إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: علم الصرف.

القسم الثاني: علم النحو.

القسم الثالث: علم المعاني، وعلم البيان.

وخصه بمبحث في الاستدلال فسماه "علم خواص تراكيب الكلام"، وهو أشبه ما يكون بتقسيم أرسطو للحجج الصناعية (المثال، وأشكال الاستدلال من قياس، واستقراء)، وغير صناعية (القرآن، السنة، الإجماع...).

يفرق "السكاكي" بين علم المعاني، وعلم البيان، بقوله: «اعلم أن علم المعاني هو تتبع خواص تركيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها، من الاستحسان، وغيره؛ ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضيه الحال ذكره /.../ وأما علم البيان فهو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه، وبالنقصان؛ ليحترز بالوقوف على ذلك من الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه»[2]

ارتكزت بلاغته على السياق التواصلي؛ حيث جعل علمي المعاني، والبيان يقومان على فكرة المقام الذي تتحدد طبيعة الكلام في مدى مطابقته لمقتضى الحال، والملاحظ أن المقام لم يقتصر على الموقف الخارجي، بل تجاوزه معتبرا العلاقات اللغوية مقاما داخليا ملزما، فالحال يبين الخطاب، والخطاب يبني بعضه بعضا.

لتنشأ علاقة بين جنس الكلام ومقتضى الحال، فلم يهمل "السكاكي" المستمع الذي أطلق عليه أرسطو لفظ "الباتوس"، فعلى المتكلم أن يراعي أحوال السامعين أثناء التخاطب، وأحوالهم، يقول "السكاكي": «فإن كان مقتضى إطلاق الحكم فحسن الكلام تجريده عن مؤكدات الحكم،

---

[1] شكري المبخوت: الاستدلال البلاغي، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ص: 66.

[2] السكاكي: مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط02، 1987م، ص، ص: 161، 162.

وإن كان مقتضى الحال بخلاف ذلك، فحسن الكلام تحليه بشيء من ذلك بحسب المقتضى ضعفا وقوة، وإن مقتضى الحال طي ذكر المسند إليه، فحسن الكلام تركه، وإن مقتصى اتيانه على وجه من الوجوه المذكورة، فحسن الكلام وروده على الاعتبار المناسب، وكذلك إن كان المقتضى ترك المسند، فحسن الكلام وروده عاريا عن ذكره، وإن كان المقتضى إثباته مخصصا بشيء من التخصصات، فحسن الكلام نظمه على الوجوه المناسبة من الاعتبارات المقدم ذكرها، وكذلك إن كان المقتضى عند انتظام الجملة مع أخرى فصلها أو وصلها، والايجاز معها أو الاطناب»[1]

من خلال ما ورد يتضح أن "السكاكي" يلتقي مع بيرلمان في نقاط، ويختلف معه في أخرى؛ فالاتفاق يكمن في الهيكل العام، فكلاهما يعتمد على البنية ومحورها الخطاب، مرتكزه المتلقي من جهة، وغاية الخطاب واحدة وهي الإقناع، ويختلفان في طبيعة البينة؛ فهي عند "السكاكي" تستهدف وجدان وخيال المتلقي، أما عند بيرلمان تستهدف عقل المتلقي، فالأول يعنى بالخطاب الأدبي الشعري، أما الثاني فيعنى بالخطاب الحجاجي.

ارتبط الحجاج في البلاغة العربية بثلاثة توجيهات رئيسة:

- حجاج بلاغي خطابي: قائم على البيان، وكان رائده الجاحظ في "البيان والتبيين".
- حجاج بلاغي بياني: أقامه ابن وهب على أركان أساسية (بيان الاعتبار، بيان الاعتقاد، بيان العبارة، بيان الكتاب)، في كتابه "البرهان في وجوه البيان".
- حجاج بلاغي استدلالي: أقامه "السكاكي" على أسس منطقية، في كتابه "مفتاح العلوم".

رابعا: نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان "Chaïm Perlman" ولوسي أولبرخت تيتكا "Lucie Olbracht-tyteca"

لقد تأسست البلاغة الجديدة، أو البلاغة الحجاجية منذ 1958م، مع رجل القانون "شاييم بيرلمان"، واللسانية البلجيكية "لوسي أولبرخت تيتكا"، ويعزو الباحث جورج فينو " Georges Vigneaux" أن مشروعه في إحياء بلاغة الإقناع يعود إلى عوامل سياسة، كونه يهودي بلجيكي، تأثر بالإبادة الجماعية التي تعرض لها اليهود، خلال الحرب العالمية الثانية، هذه الإبادة المبرمجة لخطيب مرعب هو "أدولف هتلر"، إضافة إلى الملابسات السياسية المصاحبة

[1] السكاكي: مفتاح العلوم، ص: 168.

لظهور كتابه مصنف في الحجاج (1958م)، وكتابه "البلاغة الجديدة La Nouvelle théorique"، وهو عنوان فرعي لكتاب "مصنف في الحجاج"، وكتابه مع "تيتكا" "دراسة في الحجاج Traite De l'argumentation" خلال سنوات الستينات والسبعينات.[1]

أما بدايته الفعلية فكانت من خلال مقال له بعنوان: "عند العدل De La Justice" مفادها التوصل إلى استخراج قاعدة صورية، تطبق بنفس الطريقة المنتمية لنفس الفئة. لكنه لاحظ أنه من الصعب تطبيق هذه القاعدة – العدل –، فأحكام القيمة لا تخضع لأي منطق وبالتالي تفقد الفلسفة جديتها، لذا وجب عليها التخلي عن موضوعها التقليدي، وهو البحث عن الحكمة، لتبحث عن منطلق يحسم قضية القيمة، ليبدأ عملية البحث هو وزميلته "تيتكا"، فاتبع منهج "غوتلوب فريغة Gottlob Frege" في الاستدلال عند الرياضيين ومنه توصل «أنه ليس هناك منطق لأحكام القيمة»[2]، ليتوصل إلى نظرية الحجاج وإلى الاستنتاجات الآتية:

1. الجمع بين الخطابة والجدل على عكس أرسطو الذي اعتبر الجدل يهتم بالحجج في المناظرات، أو الحوار مع مخاطب واحد. أما الخطابة فهي الحجج المستخدمة في الخطب التي تلقى في ساحة عمومية، أمام حشد من الناس، غير مختصين، وعاجزين عن تتبع الاستدلالات المعقدة. لكن "بيرلمان" اعتبره فصلا مصطنعا، وبذلك وسع مفهوم الخطابة، لتصبح متعلقة بجميع الخطابات الموجهة إلى جميع أنواع المستمعين، سواءً تعلق الأمر بجمهور مختص أم لا، وسواءً كان فردا واحدا أم الإنسانية جمعاء؛ وبالتالي ستوظف جميع الحجج حتى تلك الموجهة لنفسك أثناء المشاورة مع الذات.[3]

2. إدراكهما لأطر الحجاج على حده: موضوعا، وغاية. أما الموضوع فيقول: «درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم»[4]، ثم ربط الحد بالغاية، يقول: «العقول تذعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان؛ فأنجح الحجاج ما وقف في جعل حدة الإذعان تقوي

---

[1] عبد اللطيف عادل: بلاغة الإقناع في المناظرة، ص، ص: 83، 84.

[2] الحسين بنو هاشم: نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط01، 2014م، ص: 29

[3] الحسين بنو هاشم: في نظرية الحجاج، ص، ص: 35، 36.

[4] على الشبعان: الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل (بحث في الأشكال والاستراتيجيات)، تق: حمادي صمود، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط01، 2010م، ص: 89

درجتها لدى السامعين، بشكل يبعثهم على العمل المطلوب إنجازه أو الإمساك عنه، أو هو ما قف على الأقل في جعل السامعين مهيئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة»[1]، فالحد ارتكز على المنهج، أما الموضوع فربطه بالعقل، والهوى من جهة، وبالمقام، والسياق من جهة أخرى.

3. فصل بين الاستدلالات التحليلية الصورية، والتي: «تنطلق من مقدمات لا مجال لمناقشتها، سواء كانت بديهية، أو صادقة، أو مجرد فرضيات، وهي برهانية غير شخصية»[2]، أما الاستدلالات الجدلية: «فتنطلق من مقدمات غير ملزمة، وتكون مركزة على الرأي لا على الحقيقة، وتبقى دائما عرضة للنقاش»[3]

4. قسم "بيرلمان" المستمع إلى نوعين: مستمع خاص، ومستمع كوني، فالأول يتكون من الشخص نفسه، أو جمع محدود العدد، والثاني يشمل كل كائن ذي عقل «إن البلاغة الجديدة تواصل بلاغة "أرسطو" حيث توجهها إلى جميع أنواع السامعين، إنها تختص ما يسميه القدامى فن الجدل»[4]

فأعطى أهمية للسامع؛ للارتقاء بالحجاج إلى أعلى مستوياته المتنوعة، ذلك أن الاهتمام بالمخاطَب يفرض على صاحب الخطاب مراعاة المقامات التي توجه الخطاب، وتنتج مادته وأدواته التي يفرضها مستوى التلقي؛ لأن السامع هو الذي يسهم بصفة فعلية في تشكيل المعالم الكبرى للمادة الحجاجية، لذا استعمل "الاقتناع Conviction" بدل "الإقناع Persuader"؛ فالإقناع هو ما يحققه المخاطب عن طريق الحجاج البرهاني، فيكون إعمال العقل فيه بمكان، ويكون فيه الحجاج ملزما للمخاطب، وهذا ما يرفضه "بيرلمان". أما الاقتناع فهو ما يعطي للمتلقي حق التفاوض، وممارسة الحرية في تقبل الحجج بغية الابتعاد عن العنف، وانفعالاته، وملابسات القضية التي يعرضها، وكذا مراعاة المقام المناسب للقول «كل هذه الأشياء تجعل

---

[1] على الشبعان: الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل، ص: 90.

[2] المرجع نفسه، ص: 34.

[3] المرجع نفسه، ص: 34.

[4] صابر الحباشة: التداولية والحجاج مداخل ونصوص، تدقيق لغوي: ممتاز الملوحي، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، ط01، 2008م، ص: 15.

الحجاج عرضة للتغيير والتحوير في بنائه، وأنساقه التي يقوم عليها وذلك تبعا لتغيير المقام وتغيير ظروف المحاجج حتى وإن ظل موضوع النقاش هو ذاته»[1]

- **الاقتناع Conviction** «هو إلزام شخص ما بواسطة براهين أو شواهد على الاعتراف بصحة شيء ما»[2]
- **الإقناع Persuader** «محاولة واعية للتأثير في السلوك معنى هذا أن الإقناع نشاط لساني مشحون بأنشطة فكرية، تنتج عنها أثار سلوكية تتحد في شكل موقف يرتكز على المنطق والحجة، ويتطلب درجة عالية من الثقافة، والدراية النفسية بالآخر»[3]

من خلال كل ما ذكر نستنتج أننا نتكلم بقصد التأثير، وأن الوظيفة الأساسية للغة هي الحجاج، وبالتالي «انفتحت الخطابة على جميع الخطابات الإنسانية غير البرهانية»[4]

5. أخرج البلاغة من ربقة البلاغة التحسينية والزخرفة، والتزين، يقول "محمد الولي: عن الاستعارة من منظور "بيرلمان": «إن السمة المميزة للاستعارة عند "بيرلمان" هي قدرتها الحجاجية. لقد كفت عن أن تكون مجرد محسن من المحسنات الترفيه، إنها لا تغدو كذلك إلا حينما تفشل في أداء وظائفها الحجاجية»[5]
6. صاغ مرتكزات للحجاج تقوم على الشروط الآتية:

- أن يتوجه إلى مستمع.
- أن يعبر عنه بلغة طبيعية.
- مسلماته لا تعدو أن تكون احتمالية.
- لا يفتر تقدمه إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة

---

[1] محمد سالم محمد الأمين طلبة: «مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة» ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، إعداد وتقديم: حافظ العلوي، ج02، (د، ت)، ص: 182.

[2] اندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، A. G، ترجمة: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط01، 2001م، ص: 230.

[3] محمد العيد: النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، ط01، 2005م، ص: 191.

[4] الحسين بنو هاشم: نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، ص: 37.

[5] محمد الولي: البلاغة والاستعارة في آثار أرسطو وعبد القادر الجرجاني وشاييم بيرلمان، ص: 588(أطروحة دكتوراه).

- ليست نتائجه ملزمة.[1]

7. يكون الحجاج فعالا حينما يتكيف الخطيب مع مستمعيه من خلال هذا المنطلق، وجب على الخطيب أن يختار مقدمات حجاجية مقبولة عند مستمعيه، إضافة إلى قوتها وترتيبها، فعلى كل حجة أن تأتي في الوقت الذي سيمارس فيه أكبر أثر ليطرح مجموعة من التقنيات، والمنطلقات التي سيكون محط دراستنا في الفصلين التاليين.

نستنتج أن الحجاج نشاط خطابي بلاغي تداولي والغاية منه تحقيق الاقناع العقلي والعاطفي معا في استمالة المتلقي والتسليم بالقضية الداعي لها، من طرف أحد أطراف العملية التواصلية.

[1] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرى بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، ط01، 2008م، ص: 10.

الفصل الثاني: الحجاج ومنطلقاته

1. هوية الخطاب
2. منطلقات الحجاج في خطاب ياسر عرفات

أولا: هوية الخطاب

يعد خطاب 1974/11/13م خطابا سياسيا لأنه يتوفر على المقومات الخطابية التي تجعله يندرج ضمن هذا النوع:

يتميز الخطاب بوجود متلفظ ينتج الخطاب، ويتمظهر من خلال ترهينات متعددة، حيث يستثمر ضمير الغائب، وضمير المتكلم، وفق استراتيجية تولد مقاطع الخطاب، وتحدد الوظائف التي يروم تحقيقها في علاقته بالمتلقي. ويشيد الخطاب على مدى المقاطع المكونة له عاملا اجتماعيا (الشعب الفلسطيني). ويتخذ تفريعات متعددة ومتغايرة بحسب استراتيجية الخطاب ينمو فعل هذا العامل داخل فضاء مكاني زماني، ويعقد صلات بهذه المرجعية الزمنية والمكانية.

يتوق هذا العامل إلى إنجاز فعل (الاستقلال وإنهاء الاحتلال)، محاولا تحويل ذلك من خلال حالة الاستعمار إلى التحرر. ويحدد الخطاب لنفسه وفق هذه المكونات موقعا داخل حقل السياسة، ويسعى إلى إنجاز أفعال تحول العلاقات مع المستعمر والعلاقات داخل الأرض ومن خلال سردنا لهذه المقومات الخطابية سنحاول إثبات اندراجه في فن الخطاب السياسي، فالخطاب كما عرفه "أبو البقاء" في "الكليات" «بأنه الكلام الذي يقصد به الإفهام؛ إفهام من هو أهل للفهم، والكلام الذي لا يقصد به إفهام المستمع فإنه لا يسمى خطابا»[1] ومن هذا المنطلق تبنى "ياسر عرفات" فكرة الدولة الفلسطينية، وحمل همها في مراحل عدة، وتطورت نظرته إلى هذه الدولة مع تطور أوضاع القضية الفلسطينية، موازاة بتطور منظمة التحرير الفلسطينية وظروفها، حتى تمكن من إعلان الدولة الفلسطينية في المنفى عام (1988م).

لقد ارتكزت فكرة الدولة الديمقراطية على أساس العيش المشترك بين الفلسطينيين من مسلمين، ومسيحيين، مع اليهود. كما خاطب المجتمع الدولي من على منبر الأمم المتحدة في 1974/11/13م، بقوله: «فلماذا لا أحلم يا سيادة الرئيس وآمل؟ والثورة هي صناعة تحقيق الأحلام، والآمال، فلنعمل معا على تحقيق الحلم في أن أعود مع شعبي من منفاي، لأعيش مع هذا المناضل اليهودي [أهود أديف] ورفاقه مع هذا المناضل الراهب المسيحي [المطران

[1] أبو البقاء الكفوي: الكليات، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط:01، 1992، بيروت، لبنان، ص: 419.

كبوجي] وإخوانه، في ظل دولة واحدة ديمقراطية يعيش فيها المسيحي والمسلم في كنف المساواة والعدل والإخاء»[1]

لقد صدر الخطاب في فترة هدوء وسكون للثورات والاشتباكات والمعارك في فلسطين والدول المجاورة لها، فكان خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في 1974/11/13م هو أول خطاب سلمي بعد انتهاء حرب الأيام الستة "نكسة (1967م)" وحرب الغفران (1973م) بين مصر وسوريا وإسرائيل، وانتهاء الاعتداءات على لبنان، والانتفاضة الأولى (1987م)، فجاء الخطاب بعد اعتراف الدول العربية بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلا شرعيا للشعب الفلسطيني.[2]

لقد أصدر القرار رقم (2210) في: 1974/10/24م، بالأغلبية (105 أصوات) مقابل (04)، وامتناع (20) عن التصويت، القاضي بدعوة منظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها ممثلة الشعب الفلسطيني، للاشتراك في المداولات العامة لتلك الدورة، حول قضية فلسطين، كما دعت الجمعية العامة "ياسر عرفات" أن يلقي كلمة، وحاول "عبد العزيز بوتفليقة" (وزير خارجية الجزائر) رئيس الجمعية العامة لتلك الدورة أن يمكن "ياسر عرفات" من الجلوس على كرسي رؤساء الدول، لكنه جوبه برفض شديد من بروتوكول الجمعية، فحلها "ياسر عرفات" وسيطا بأن وضع يده على الكرسي ولم يجلس عليه، ولكنه أدهش العالم بلهجته المعتدلة، وقال فيها مقولته الشهيرة «لقد جئتكم يا سيادة الرئيس بغصن الزيتون مع بندقية ثائر... فلا تسقطوا الغصن الأخضر من يدي... الحرب تندلع من فلسطين والسلام يبدأ من فلسطين» وأطلق الأمريكيون على اليوم الذي ألقى فيه "عرفات" خطابه بـ "يوم عرفات"؛ كونه نجح خلال ساعات قليلة في توجيه الاهتمام نحو مشكلة ظل القادة الامريكيون يتجاهلونها لعقود طويلة، كما عرف

[1] خطاب ياسر عرفات، مؤسسة ياسر عرفات www.yaf.ps

[2] عبد الفتاح القليقلي، منظمة التحرير والأمم المتحدة، جريدة حق العودة، ع:41 www.badil.org

كيف يكسب تأييد جزء كبير من الرأي العالم الدولي، وكان أول زعيم لا يمثل دولة يعطى حق إلقاء كلمة أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة.[1]

وكانت الفكرة الرئيسة للخطاب القضية الفلسطينية، ومعاناة الشعب الفلسطيني المحتل؛ إذ ربط بين جمل وتراكيب خطابه في موضوع واحد ظل محورا له حتى نهاية الخطاب، وبناء متماسكا في شكله العام؛ إذ أعمل تماسك بنائه على ترابط مفردات وتراكيب الخطاب حتى نهايته.

وجاء تسلسل أفكار الخطاب كالآتي:

- شكر اللجنة المنعقدة لهيئة الأمم المتحدة على دعوتها فلسطين لحضور الجلسة المنعقدة، كون هذا الحضور بمثابة النصر للشعب الفلسطيني.
- الاضطهاد الواقع على شعوب (فلسطين، آسيا، أفريقيا).
- سباق التسلح وأثره في تشجيع الاستعمار لهذه الشعوب المضطهدة.
- السلام والأمان هما أسمى مطالب هذه الشعوب، الرسالة التي حمّلها إياه أبناء شعبه، وتعهد بإيصالها، وهي: الحصول على الاعتراف بحقوقهم.
- طلب العون من الشعب الأمريكي، والكف عن المظاهرات المعادية لفلسطين وشعبها.
- نبذة عن تاريخ الاستعمار والاستيطان وحصاره، الصهيونية ودوافعها والتفريق بين مصطلحي الصهيونية (الحركة العنصرية) واليهودية (الديانة).
- نبذ الفكرة القائلة بأن فلسطين كانت صحراء قاحلة واليهود هم من عمروها.
- ذكر تاريخ العدو الصهيوني الحافل بالإرهاب والقتل.
- منظمة التحرير الفلسطينية وشرعيتها في تمثيل الشعب الفلسطيني.
- ختم خطابه بعبارة شهيرة «لقد جئتكم يا سيادة الرئيس بغصن الزيتون مع بندقية ثار... فلا تسقطوا الغصن الأخضر من يدي».

[1] عبد الفتاح القليقلي: الرئيس عرفات في البيت الأبيض، الحقوق الوطنية والشرعية والدولية، 2010/12/23 المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين، جريدة حق العودة، ع: 41.

إن كان الحجاج بطبيعته متوجه لمتلقي فإنه يتكون من شبكة من المقدمات والأفكار والقيم المقبولة لدى المتلقي ونقطة بداية الحجاج هي:

وقائع يدركها المتلقي، وحقائق يقبلها، وافتراضات يلتزم بها، وقيم يحترمها، ومن خلال هذه الطرق باستطاعة المحاجج أن يصوغ حجته بشكل يسمح بانتقال القبول من سمة لأخرى؛ ليصل لقبول ادعاء المحاجج له «لقد علق علماء الحجاج مبتدأ الانطلاق في الحجاج بمقدماته وصدوره نظرا إلى كونها متعلقة بالقضايا التي منها يكون المنطلق وبها يكون الاستدلال على قضية ما أو رأي بعينه»[1]

ثانيا: منطلقات الحجاج عند بيرلمان وتيتكا

يبنى الحجاج عند "بيرلمان" و"تيتكا" على مجموعة من التصورات والمقدمات والفرضيات التي ينسج بها الخطيب حججه، وتتكون من:

- الوقائع.
- الحقائق.
- الافتراضيات.
- القيم التراتبيات.
- المعاني أو المواضع.

1. الوقائع Les faits:

تعتبر الوقائع قارة ثابتة، يلجا إليها المتكلم للاستدلال بها أثناء إثبات قضية معينة، وهي تصلح لتأسيس نقطة بداية «فهي تمثل ما هو مشترك بين عدة أشخاص أو بين جميع الناس»[2]، ويعتمد عليها المتكلم؛ لأنها اليقين الذي لا خلاف فيه، ولا مجال لدخول أي شك في نفسية المتلقي، وهذا ما تجلى في خطاب "ياسر عرفات" وسنحاول بيان ذلك:

- المؤتمرات.
- المعاهدات، والمواثيق.

[1] على الشبعان: الحقيقة وآفاق التأويل (بحث في الأشكال والاستراتيجيات)، ص: 96.

[2] المرجع نفسه، ص: 96.

- الشخصيات السياسية.
- الهيئات الدولية، والمنظمات الحكومية.
- الحروب.
- الجرائم.
- الإرهاب، والعنصرية.
- الفجوة الاقتصادية.

لقد أكد "ياسر عرفات" في خطابه على الحق الفلسطيني بوصفه جزء لا يتجزأ من حقوق الإنسان، وذلك بأن يعيش في وطنه بحرية وأمان وسلام، لقد ركز في خطابه على هذه الحقوق الإنسانية وبنى عليها خطابه، فخاطبهم بلغتهم التي يتشدقون بها في المحافل الدولية، وينصون عليها في معاهداتهم ومواثيقهم وأبرز ذلك من خلال جملة من الوقائع التاريخية: المؤتمرات، المعاهدات، والمواثيق، الشخصيات السياسية، والثورية، والحروب، والجرائم، وسنبين أن هذه الوقائع التاريخية كانت فاعلة في بنائه الخطابي من جهة ودعمه حجاجيا من جهة أخرى.

أ. هيئة الأمم المتحدة:

عبر عن أهمية "هيئة الأمم المتحدة" على المستوى الدولي في تطبيق ميثاقها كونها تمثل (138 دولة)، وبالتالي فهي الأكثر قدوة على نصرة القضايا العادلة، يقول "عرفات" «فقد أصبحت أكثر قدوة على تطبيق ميثاقها ومبادئ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والأكثر قدوة على نصرة قضايا العدل والسلام»[1]، لقد فرّق "ياسر عرفات" بين هيئة الأمس وهيئة اليوم على حد تعبيره، إنه أدان هيئة الأمم المتحدة عندما كانت حديثة العهد ويقول "عرفات" «خذلت عصبة الأمم بتركيبها القديم شعبنا العربي، وتبخرت وعود ومبادئ ويلسون في الهواء /.../ الذي أصدرته عصبة الأمم المتحدة صراحة، بالتمكين للغزوة الصهيونية من أرضنا»[2]

[1] خطاب ياسر عرفات، مؤسسة ياسر عرفات www.yaf.ps

[2] المصدر نفسه.

إن "ياسر عرفات" من خلال هذا التصريح كان واقعيّا في الطرح، ولذا كانت هذه التاريخية تخدم قضيته، فطرحه للقضية صادقا مؤسسا على ما يلي:

- اعتماده للفظة هيئة مقابلا للفظة عصبة للدلالة على الفرق العددي وهذا ما صرّح به في خطابه (138 دولة).
- التمييز بين التركيبة السابقة لهيئة الأمم والتركيبة القديمة وهذا ما صرّح به علنا قبل إلقاء الخطاب من خلال شكره لرئيس الهيئة أنذاك (1974م)، ونضاله وسعيه، لإعطاء الكلمة للمنظمة الممثلة للشعب الفلسطيني، يقول "عرفات": «خذلت عصبة الأمم بتركيبها القديم» إنه سعى من خلال المقارنة إلى أمله في تغيير نظرة العالم لهيئة الأمم المتحدة، وتغيير طرحهم ونظرتهم للقضايا الساعية للسلام على أراضيها.

ب. الشخصيات التاريخية:

استدل "عرفات" بشخصيات تاريخية داعمة لحقوق الإنسان ولقضايا السلام «فما تشترك فيه كل هذه الاستعارات، إنها تسمح لنا بأن تعطي معنى للظواهر في هذا العالم عن طريق ما هو بشري فنفهمها اعتمادا على محفزاتنا وأهدافنا وأنشطتنا وخصائصنا»[1]، لقد استعار "عرفات" أمثلة من التاريخ هذه الأمثلة المناضلة أعطت معنى للسلام وللحرية وللقضايا العادلة لتصبح هذه الشخصيات مقولة عامة إنه استمد هذه الشخصيات التاريخية من تاريخ أمريكا المناشد للحرية وبالتالي فاستعارته لهذه الشخصيات من الواقع التاريخي أضفى الشرعية لخطابه وجعله أكثر حجة، وإقناعا مستكشفا لمدى تقبلها واقتناع المخاطب بها، فالحجاج دراسة لطبيعة العقول على حدّ تعبير "بيرلمان" «فيختار أحسن السبل لمحاورتها والاصغاء اليها ثم محاولة حيازة انسجامها الإيجابي L'adhésion Positive والتحامها مع الطرح المقدم، فإذا لم توضع هذه الأمور النفسية والاجتماعية في الحسبان، فإن الحجاج يكون بلا غاية ولا تأثير»[2]، لذا نجده استشهد بشخصيات تاريخية أمريكية يجمع العالم على واقعيتها وصدق قضاياها وهي:

[1] مدقن هاجر: « مصطلحات حجاجية»، مجلة مقاليد، ع01، جوان 2011م ، (د. ص)

[2] طه عبد الرحمان: اللسان والميزان، ص: 228.

جورج واشنطن الذي نال لاستقلال أمريكا وأروبا.

وصايا ويلسن الأربع عشرة والتي يتبناها شعبنا، إيمانا بهذه المبادئ الإنسانية.

ودعم هذه الوقائع التاريخية للشخصيات بوقائع، وشخصيات داعمة لخطابة من الزمن القريب بشخصيات ثورية ومناضلة، مناشدة للسلام: **كالمناضل اليهودي أهود أديف**، لقد عبّر عن دعمه للقضية بقوله: «**أنا لست مخربا...أنا من المؤمنين بإقامة الدولة الديمقراطية على هذه الأرض**»، ونتيجة لتصريحه هذا حكِم من قبل المحكمة العسكرية وفي اللحظة التي يلقى فيها "عرفات" خطابه هو في غياهب السجون، وسيلقى نفس مصير المسيحي "المطران كبوجي" والذي رفع علامة النصر داعمًا لثوار الفلسطينيين هذا ما تنبأ به "عرفات" علنا أمام الهيئة.

ج. الفجوة الاقتصادية:

عبّر "عرفات" عن الواقع الاقتصادي العالمي وطالب بتغييره بقوله: «تغيير النظام الاقتصادي العالمي حيث "الحالي" بنظام اقتصادي عالمي جديد أكثر معقولية ومنطقية»[1] من خلال هذه العبارة حكم "عرفات" مباشرة (استقراء) على النظام الحالي، بالفشل وهذا ما نستبينه من خلال بعض المقدمات.

القضية الأولى: وضع حد لعمليات النهب والاستغلال وامتصاص ثروات الشعوب الفقيرة.

القضية الثانية: عرقلة جهودها من أجل التنمية والسيطرة على ثرواتها.

القضية الثالثة: رفع الحيف عن أسعار موادها الأولية.

القضية الرابعة: المطالب معبر عنها في مؤتمر البحار في كراكاس، مؤتمر السكان، مؤتمر التغذية.

نلمح من خلال ما ورد أن القضايا المطروحة من (01 إلى 04) في تصاعد فكل قضية تأتي التي بعدها لتكون أقوى حجة منها، إنه أمدّ الهيئة بالحلول التي بإمكانها إقامة نظام

[1] خطاب ياسر عرفات، مؤسسة ياسر عرفات www.yaf.ps

عالمي جديد، ولكي لا يدع المتلقي يشكك في هذه الممارسات وهذا النظام "الحالي" دعمه بوقائع تدعم مطلبه إنها المؤتمرات العالمية المطالبة علنًا بنفس مطالبه ليزيد من حدّة لهجته وذلك بتوظيفه لصيغة «لابد» إنه أمر ضروري وحازم لوضع حد لهذه الفجوة يقول "عرفات" «لابد أن نقف بحزم إلى جانب النضال من أجل إحداث تغيرات جذرية في النظام الاقتصادي العالمي؛ لأن ذلك وحده ينتج للشعوب المختلفة، وإمكانية التقدم بسرعة»[1] إنه يحمل المسؤولية للهيئات الدولية، والتي وجب عليها عدم إغفال دورها على المستوى العالمي من خلال مساعدة الدول النامية والفقيرة للنهوض باقتصادها ففي الكثير تتهم الدول النامية، بهذه الفجوة يقول "عرفات": «لابد لهذه الهيئة من أن تقف بحزم ضد القوى التي تحاول تحميل مسؤولية التضخم المالي على كاهل البلدان النامية وخاصة البلدان المنتجة للبترول، وإن تسحب التهديدات التي تتعرض لها هذه البلدان بسبب مطالبها العادلة»[2] إن "عرفات" وضع يده على الجرح وهو التهديدات التي تمارس على البلدان المطالبة بالعدالة الاقتصادية نظام عالمي جديد؛ لتبقى حبيسة الإمبريالية.

د. الإرهاب:

لقد حددّ "ياسر عرفات" مفهومه للإرهاب والإرهابي من خلال خطوات مؤسس لها، وسنحاول تبيينها:

التقدمة للموضوع من خلال قوله: «إن الذين ينعتون ثورتنا بالإرهاب إنما يفعلون ذلك لكي يضللوا الرأي العام العالمي عن رؤية الحقائق وعن رؤية وجهنا الذي يمثل جانب العدل والدفاع عن النفس، ووجههم الذي يمثل الظالم والإرهاب والقهر»[3]، نلمح أن "ياسر عرفات" أصدر الحكم النهائي بداية معتمدا على الاستقراء والذي سنحاول تبيينه من خلال سرده لمقدمات أوردها كالآتي:

---

[1] خطاب ياسر عرفات، مؤسسة ياسر عرفات www.yaf.ps

[2] المصدر نفسه.

[3] المصدر نفسه.

الثائر ⟵ الإرهابي (مجرم حرب)

– قضية عادلة.	– ضد القضايا العادلة.
– يقاتل من أجل حرية وطنه واستقلاله	– يشن الحرب لاحتلال أوطان الأخرين ونهبهم واستعمارهم.

«إن الجانب الذي يقف فيه حامل السلاح هو الذي يميز بين الثائر والإرهابي»[1] هكذا كانت مقدمته الأولى منطقية وواقعية بعيدة عن كل ما تحمله الكلمة من خلفيات دينية وسياسية وإيديولوجية لقد فصل في القول من خلال عبارة واحدة ليذهب أبعد من ذلك ويفصل بين الثائر والإرهابي بضربه لأمثلة من التاريخ:

- مقاومة الشعب الأمريكي ضد البريطانيين
- مقاومة الأوروبيين ضد النازية
- «هل هذه المقاومات إرهابا، إن كانت هذه المقاومات إرهابا سأعتبر الكثير منكم في هذه القاعة إرهابيين؟»[2] قياسا على ذلك اعتبر "ياسر عرفات" المقاومة ضد الاحتلال الاستيطاني الإسرائيلي هي مقاومة مشروعة لا تختلف عن مقاومة "**ديغول**"، و"**تشرشل**" للإرهاب النازي في أوربا ولا المقاومة الأمريكية للاحتلال الإنجليزي لأراضيها لذا فرق بين الممارسات المشروعة التي تقوم بها حركات التحرر ومنها الفلسطينية، والتي تهدف إلى الحق في تقرير المصير حتى لا تختلط المفاهيم وتكون ذريعة لأعمال عنف يختلف الناس في تسميتها بالإرهاب، أو المقاومة المشروعة «عدالة القضية هي التي تقرر عدالة السلاح»[3]

هـ. العنصرية:

نعت "ياسر عرفات" النظام الإسرائيلي بالنظام العنصري مشبها إياه بالعنصرية في جنوب أفريقيا هذا التشبيه أكده التاريخ «ليبقى عام (1948م) لقد ولد نظام التفرقة في جنوب أفريقيا وكذلك دولة إسرائيل»[4] لقد كان الميلاد واحدا والتفرقة واحدة حين عدوا الفلسطينيين الذين

---

[1] خطاب ياسر عرفات، مؤسسة ياسر عرفات www.yaf.ps

[2] المصدر نفسه.

[3] المصدر نفسه.

[4] عبد الفتاح القليقلي، جريدة حق العودة، ع:17 www.badil.org

يعيشون في الصفة الغربية، وقطاع غزة، واليهود الشرقيون من الدرجة الثانية، والثالثة، يقول "ياسر عرفات": «إنها أيديولوجيا استعمارية استيطانية، عنصرية تمييزية رجعية، تلتقي مع اللاسامية في منطلقاتها بل هي الوجه الآخر للعملة نفسها»[1] لقد حدد "عرفات" منطلقات العنصرية من خلال الصهيونية، والليبيرالية، يقول "ياسر عرفات" «إننا نحذر اليوم وبعد قرابة قرن من بروز هذه الحركة العنصرية، إن خطرها بتزايد ضد اليهود في العالم، وضد شعبنا العربي...»[2]

1- ربطها بالإمبريالية: «وقد استطاع هذا الكيان الصهيوني وبدعم من دول الاستعمار والإمبريالية وعلى راسها الولايات المتحدة الأمريكية».[3]

2- ربطها بالصهيونية: «فهناك في داخل الكيان الصهيوني تمييز عنصري بشع ضد اليهود الشرقيين».[4]

«فإن ثورتنا منذ البداية لا تقوم على أسس عرقية أو دينية أو عنصرية...إنما هي موجهة ضد العنصرية الصهيونية».[5] ومن أهم مظاهرها ما يلي:

ذ. التمييز والتفرقة.

ر.كان سكان فلسطين عام (1881م) حوالي نصف مليون نسمة (قبل قدوم موجة اليهودية إليها) منهم نحو عشرين ألف يهودي.

ز.تهجير اليهود واغتصاب أراضي عرب فلسطين؛ فكان عدد اليهود في عام (1947م) حوالي مليون وربع المليون نسمة، بينما العرب كانوا حوالي ستمئة ألف يملكون أقل من 06٪ من أراضي فلسطين.

س. نجح التحالف الاستعماري الصهيوني في استصدار قرار من الأمم المتحدة يقضي بتقسيم فلسطين في: 29 نوفمبر 1947م.

---

[1] خطاب ياسر عرفات، مؤسسة ياسر عرفات www.yaf.ps

[2] المصدر نفسه.

[3] المصدر نفسه.

[4] المصدر نفسه.

[5] المصدر نفسه.

ش. احتلوا 81٪ من مساحة فلسطين، وشردوا مليون عربي، اغتصبوا 542 قرية، دمروا 385 مدينة، تدميرا كاملا.

لقد صرح "ياسر عرفات" بالدعم الليبرالي للحركة الصهيونية، ولقيام الدولة الإسرائيلية، ومن أهم هذه الأسباب هو استخدامها لحق الفيتو، مراعاة لمصالحها السياسية «لجأت منذ تأسيس المنظمة حتى إلى اليوم استخدام هذا الحق في مواجهة القرارات الصادرة ضد إسرائيل (25) مرة، الأمر الذي دفع إسرائيل إلى التمادي في استخدام القوة ضد الفلسطينيين»[1] لقد شدد على أن الشعب الفلسطيني «مازال مصمما على الاستمرار في أداء دوره الحضاري، والإنساني على أرض فلسطين»[2] مثلما فعل في الماضي مع عشرات الأرمن، والشركس، الذين ما زالوا بينهم ليومنا هذا، يعاملونهم كإخوة، متساوين في الحقوق والواجبات، في خضم ذلك يفرق بين الحركة الصهيونية والديانة اليهودية بقوله: «فإن الثورة الفلسطينية تفرق بين اليهودية والصهيونية»[3]، ويفند ذلك بقوله: «في الوقت الذي نعادي الحركة الصهيونية الاستعمارية فإننا نحترم الدين اليهودي»[4] ويذهب أبعد من ذلك ليقترح الحلول من خلال دعوة الأمم المتحدة للوقوف في وجه «أي اضطهاد للإنسان بسبب دينه أو جنسه أو لونه».[5]

بذلك قدم "ياسر عرفات" الإنسان الفلسطيني المتحضر، الذي يقاوم العنصرية الصهيونية، والاضطهاد القومي، الساعي إلى الحرية والديمقراطية، والمبادئ الإنسانية، ومن ثمة تقديم صورة واقعية عن الفلسطينيين كشعب مضطهد، يسعى إلى إزالة الاضطهاد الذي لحقهم.

---

[1] حمدان رمضان: الإرهاب الدولي وتداعياته على الأمن والسلام العالمي، دراسة تحليلية من منظور اجتماعي، كلية الآداب، قسم علم الاجتماع، جامعة الموصل، مجلة الأبحاث، كلية العربية الأساسية، ع01، مج11، 2011م، ص: 279.

[2] خطاب ياسر عرفات، مؤسسة ياسر عرفات www.yaf.ps

[3] المصدر نفسه.

[4] المصدر نفسه.

[5] المصدر نفسه.

2. الحقائق Réalités

هي أنظمة تقوم على الربط بين الوقائع في سبيل تكون بداية حجاجية قوية، والحقائق تعتمد على نظريات علمية، أو مفاهيم فلسفية، أو دينية، وتختلف الوقائع عن الحقائق بكونها ذات طابع عام يتشارك فيه جميع أصناف المجتمع، بينما الحقائق ذات طابع خاص، فكثير من الناس يجهلون المفاهيم العلمية، والفلسفية. رغم موضوعيتهما إلا أن ذلك لا ينفي عنهما الاعتراض، لذلك وجب على الخطيب إثبات خطأ المعارض له، وبالتالي فهي: (الحقائق والوقائع)، ليستا محل ثقة بشكل نهائي، إلا إذا كانت هناك سلطة معصومة من الخطأ. [1]

والطريقة الأنجع هي بيان تعارضها مع حقائق، أو وقائع أخرى، تكون أكثر وضوحا منها، ووثوقا، ومن الأفضل إثبات تعارضها مع رزمة من الحقائق، والوقائع، وهذا ما عمد إليه "ياسر عرفات" في خطابه، لقد كانت الحقائق بينة على الرغم من اختلاف (المتلقي) لغويا، ودينيا، وأيديولوجيا، إلا أن الحقائق المسرودة لا تتطلب برهانا عقليا، أو تثبيتا منطقيا؛ لأن مرتكزه في ذلك التعايش الديني والحرية، ومنبعها الديانات السماوية الثلاث (الإسلام، المسيحية، اليهودية)، إضافة لهذا المنطلق الديني فنّد ذلك بمنطلقات تاريخية مدججة بالإحصائيات التي لا تدع مجالا للشك، وهذا ما سنحاول تبيينه من خلال ما يلي:

أ- حقائق دينية (الديانات السماوية) وحقائق تاريخية.

إن الصهيونية -كمشروع سياسي- حملت في طياتها كثيرا من المغالطات الدينية، والتاريخية، وهذا ما وضحه "ياسر عرفات" في خطابه؛ كونهم حوّروا التاريخ باعتبارهم أول من سكن فلسطين، وأن فلسطين كانت أرض صحراء بقوله: «يدعي أننا أشباح، لا وجود لها، ولا تراث، ولا مستقبل»[2]، ويقول: «لشد ما يتألم شعبنا حين يسمع تلك الدعايات التي تقول أن أراضيه كانت صحراء فعمرها المستوطنون الأجانب، وأن وطنه كان خاليا من

[1] الحسين بنو هاشم: نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، ص، ص: 42، 43.

[2] خطاب ياسر عرفات، مؤسسة ياسر عرفات www.yaf.ps

السكان»[1]، هذه المغالطات التاريخية يعارضها "ياسر عرفات" من خلال عرضه لحقائق أكثر وثوقا للجمهور، وهي كالآتي:

«حصل هرتزل على شهادة حسن السلوك استعماري استيطاني من رودس، قدمها للحكومة البريطانية ليستصدر منها قرار التأييد والدعم مقابل أن يبني على أرض فلسطين قاعدة الاستعمار»[2] حقيقة تاريخية لا تعارض حولها.

«عدد سكان فلسطين عند بداية الغزو عام 1881م، وقبل قدوم أول موجة استيطان حوالي نصف مليون نسمة، كلهم عرب، مسلمين، ومسيحيين، ومنهم حوالي عشرون ألف من يهود فلسطين»[3]

«كانت أرضا خضراء معمورة بشعبها العربي، الذي يبني الحياة في وطنه، ويغني ثقافته»[4]

«إنني كأحد أبناء بيت المقدس أحتفظ لنفسي ولشعبي بذكريات جميلة، وصور رائعة، عن مظاهر التآخي الديني التي كانت تتألف مدينتنا المقدسة قبل حلول النكبة بها»[5]

«لكنا أفسحنا لهم المجال ضمن إمكانات وضعنا، كما حدث مع عشرات الآلاف من الأرمن والشركس»[6]

«لقد سرقوا تراثنا الحضاري، وفولكلورنا الشعبي، وادعوه لهم، ومدوا إرهابهم إلى مقدساتنا في مدينة السلام (القدس الحبيبة) وعمدوا إلى إفقادها طابعها العربي المسيحي الإسلامي /.../ ولا حاجة لأن نسترسل في ذكر المسجد الأقصى، وسرقة ثروات كنيسة القيامة، والتشويه الذي

---

[1] خطاب ياسر عرفات، مؤسسة ياسر عرفات www.yaf.ps

[2] المصدر نفسه.

[3] المصدر نفسه.

[4] المصدر نفسه.

[5] المصدر نفسه.

[6] المصدر نفسه.

لحق عمرانها، وطابعها التاريخي /.../ تشهد لأجيالنا المتعاقبة التي مرت عليها تاركة في كل ركن من أركانها أثرا خالدا /.../ وليس غريبا أن تتعانق في سمائها الرسالات السماوية الثلاث»[1]

لقد ركز "ياسر عرفات" في خطابه على البعد الديني، والتاريخي؛ كونهما العاملان الأساسيان في الصراع مع الكيان الصهيوني، في المقابل من ذلك اعتبر الطرف الصهيوني الصراع مجرد نزاع على الأرض متجاهلا الأبعاد السياسية والإنسانية للشعب الفلسطيني؛ لذا ربط "عرفات" خطابه بحقائق تاريخية، كالمعاهدات، والمواثيق الدولية (شهادة حسن سلوك، وعد بلفور، ميثاق الأمم المتحدة، عدد السكان قبل وبعد التهجير، قرار 1947م بالتقسيم) هذه القرارات دعمتها الولايات المتحدة الأمريكية متجاهلة لميثاقها ومبادئها الإنسانية.

إضافة إلى حقائق تراثية (مادية، ومعنوية) الطابع الإسلامي، والمسيحي لمدينة القدس، كونها مهد الديانات، والذي لا يزال شاهدا على الوجود الإنساني الفلسطيني، إضافة إلى الفلكلور الشعبي، مظاهر التآخي والتسامح الديني بين العرب والشركس والأرمن.

إن "عرفات" لامس الحقائق الجلية، ولامس روحانية القدس الحبيبة، إن الحفاظ على التراث لا يقتصر على الاستمرارية من جيل لآخر «مازال مصمما على الاستمرار في دوره الحضاري والإنساني على أرض فلسطين»[2] بل تعداه إلى تحديات وجودية كون الآخر (الصهيوني) يحاول اقتلاع جذورها الإنساني وإرثها الوجودي، وسرقة تاريخه، هذه هي الحقائق التي حاول توضيحها مقابل سرده لحقائق تتعارض مع مغالطات الصهيوني؛ من خلال إعادة قراءة التراث، على أساس الانفصال والاتصال على حد تعبير الجابري «أي أن كل فكرة جديدة كانت بمثابة انفصال عن التراث وفكر وقيم الماضي، وما كان للفكرة أن يتسنى لها أن تستقر وتصمد أمام ردود الفعل حتى تتحول إلى جسر جديد ليتم من خلاله الاتصال مرة أخرى»[3]، لقد تبنى هذه الفكرة "ياسر عرفات"، حينما صرح قائلا: «إن شعبنا يتكلم وهو يتطلع إلى المستقبل أكثر مما هو مقيد بمآسي الماضي وأغلال الحاضر، إذا كنا نحن نتحدث عن

---

[1] خطاب ياسر عرفات، مؤسسة ياسر عرفات www.yaf.ps

[2] المصدر نفسه.

[3] وليد الشوملي: التراث الفلسطيني بين التهويد والتعريب www.tanwer.org

الحاضر نعود إلى الماضي، فلأننا نريد أن نوضح بداية الطريق الذي نشقه إلى المستقبل المشرق مع كل شعوب العالم وحركات التحرير».[1]

لذا كان لزاما على "عرفات" الحرص على لغة خطابه، ومضامينها ودلالاتها؛ لخدمة قضيته. إن إنكار التاريخ البعيد وتحويرهم للوقائع والحقائق لأن ذكر التاريخ سيخلط أوراقهم بالرغم من المفارقة التي تجلت من خلال استدعائهم للتاريخ بشكل مكثف ومغلوط، لذلك عمد "ياسر عرفات" إلى استحضار التاريخ الحديث، والاستشهاد به، لقد تم إلقاء الخطاب سنة (1974م) لذا ضرب بأمثلة تاريخية، قبيل سنة الإلقاء؛ لتكون حقائق دامغة لكل مشكك في التاريخ كون المستمعين شهودا على التاريخ فذكر بعض المجازر، مثل:

- قصف مدرسة بحر البقر سنة (1970م) بمصر.
- مصنع أبو زعيل بمصر سنة (1970م).
- تدمير الطائرة الليبية المدنية سنة (1973م).
- تدمير مدينة القنيطرة السورية في: جويلية (1974م).

إضافة إلى تدعيمه لخطابه بجملة من الإحصاءات التي لم تدع مجالا للشك، وهي:

- عام (1881م) عدد الفلسطينيين نصف مليون نسمة، واليهود عشرون ألف يهوديا.
- (1917م)، و(1982م) هجّر حوالي خمسون ألف يهودي أوربي نحو فلسطين.
- أصبح عدد اليهود نصف مليون نسمة، أما العرب الفلسطينيون فكانوا حوالي 600 ألف، يملكون 6% من الأراضي الفلسطينية.
- منح 54% عام (1947م) من الأراضي الفلسطينية لليهود.
- احتلوا 81 % من مجموع مساحة فلسطين.
- شردوا مليون عربي.
- اغتصبوا 542 قرية، ومدينة عربية.
- دمروا 385 قرية تدميرا كاملا، محاها من الوجود.

[1] خطاب ياسر عرفات، مؤسسة ياسر عرفات

ب- حقائق وجودية "الصراع الديمغرافي"

استشهد "ياسر عرفات" بالصراع الوجودي القائم بين الفلسطينيين والإسرائيليين، فالطرف الأخير أعرب عن تخوفه من خلال تصريح "**غولدا مائيير**" بقولها: «إنها قلقة من عدد الأطفال الفلسطينيين الذين يولدون كل صباح»[1] إنه الوعي بالخطر الديمغرافي لدى الحكومات الإسرائيلية، وبالتالي تخوفهم من التزايد العددي وما ينساق عنه من تعدد بالوعي الجماهيري، إنها «القنبلة الديمغرافية» هذه الحقيقة أقرتها الحكومة الإسرائيلية، وصرحت بها في العديد من المحافل الدولية، فبنى "ياسر عرفات" عليها خطابه على هذا التصريح الذي خدم بناءه اللاحق للخطاب، وفنّد حجة بأن إسرائيل منعت على الفلسطينيين حق العودة، ولكنها بالمقابل يمنح لليهود في جميع أنحاء العالم، إنه خطر وجودي وهاجس يلاحقهم فعمدوا إلى التهجير، والترحيل والقصف، وتدمير قرى بأكملها، والقتل والتشريد لقد حقدوا على كل ماله صلة بالوطن حتى إن حقدهم تجاوز البشر ليطأ شجرة الزيتون، والبرتقال، باعتبارها «علما شامخا يذكرهم بسكان البلاد الأصليين»[2] ليتحول الصراع من صراع الحقوق إلى صراع الوجود، فلو بحثنا في الثقافات الشعبية على لفظة "أرض" هذه الفظة ارتبطت بالشعب الفلسطيني أيّما ارتباط ووردوها بمرادفاتها ومشتقاتها وصورها الرمزية ومعانيها الحافلة إلى الحد الذي يحيل التراب والمكان الجغرافي إلى كيان وجودي نابض يزاحم الفرد والجماعة وجودهما، إنه يحول هذا الوجود إلى مأزق، إلى تجربة مؤجلة، إلى وعد ينتظر التحقق.

لذا حمل الخطاب تأثيرا عاطفيا؛ ليصبح الأرض، والإيواء إليها، واحتضانها، والالتحام بها، والموت لأجلها، إن اقتضى الأمر «القدس الحبيبة»[3] والتي تمّ اغتصابها.

3. القيم les valeurs

وهي عنصر أساسي ولها دور فعال في العلوم الإنسانية؛ لأنها تغير موقع السامعين، وتدفعهم لفعل المطلوب، وهي نوعان: مجردة كالشجاعة، والعدل، ومحسوسة مثل الوطن،

---

[1] خطاب ياسر عرفات، مؤسسة ياسر عرفات www.yaf.ps

[2] المصدر نفسه.

[3] المصدر نفسه.

وأماكن العبادة، ولها دور في بناء الثقة بين المتخاطبين.[1] فهي «تسجل عادة موقفا إما مع ما ترفع من شأنه أو ضده أو أنها تغص منه دون مقارنته بشيء»[2] فالقيم تكون عادة محل اتفاق وإجماع، طالما بقيت غير محددة، ولكن بمجرد توظيفها وتحديدها يقع الاعتراض، والاختلاف؛ فيبرز دورها الحجاجي، وهذا ما سنحاول إيضاحه في خطاب "عرفات" كوّن القيم المجردة كالعدل، والتسامح، والتعايش، قيم متفق عليها، ولكنها عندما ارتبطت بالقضية الفلسطينية والفلسطينيين أصبحت محط خلاف وتعارض بين السامعين؛ لذا كان لزاما على "عرفات" توظيف هذه القيم توظيفاً فعّالا، من خلال ما يلي:

1-اعتماده على القيم المجردة، والتي ترتبط بالتغيير وبالفكر الثوري؛ وبالتالي فهي الأنسب والأصلح للنقد، وهذا ما اتخذه "ياسر عرفات" في بنائه الخطابي؛ لتتجر عنها بذلك القيم الملموسة، التي تستخدمها المجتمعات المحافظة، إنه "ثائر" على حد تعبيره، فالثورة لا تتم على المستوى النضالي، وإنما على المستوى الفكري، والقيمي أيضا.

2-إلى جانب القيم هناك "تراتبيات القيم hiérarchies des valeurs" ففي البنية الحجاجية التراتبيات أهم من القيم نفسها؛ لذا نجد "ياسر عرفات" اعتمد تراتبية لهذه القيم تخدم خطابه، فالوعي بهذه التراتبيات يمثل احترامها، إضافة إلى كونها نافعة في حمل النفوس على التأثير لمقتضى القول، نظرا لما تحمله من قدرة على خدمة الجوانب العقلية من العملية الحجاجية. وبالعودة إلى الخطاب يبرز لنا تضمنه لمجموعة من القيم السامية، التي تشتغل داخله كموجهات حجاجية، تحاول بالدفع نحو اختيارات معينة، وتجعله يقبل صحة الدعوة، ولعل أبرز هذه القيم التي يكثر استعمالها من طرف "ياسر عرفات" في خطابه:

- قيمة السلام.
- الأمن والعدالة والتسامح.

هذه القيم السامية تشكل خزانا حجاجيا هاما، يوظفه "عرفات"؛ من أجل إقناع مخاطبه كونها تمثل أرضية مشتركة، يتقاسمها المتلقون، فهي: قيم جماعية، ومن خلال بنية الجمل

[1] محمد سالم الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص: 111.

[2] الحين بنو هاشم: نظرية الحجاج عند بيرلمان، ص: 45.

الموظفة يظهر جليا أن كلمة "سلام" ومرادفاتها حضرت بقوة داخل الخطاب؛ فكلمة "سلام" وظفت ستة عشر (16) مرة، ومن أمثلة ذلك قوله:[1]

1- «... شعوب العالم قد رحبت بالاتفاق، وفي لاوس، وباتفاقية السلام في جنوب الفيتنام»

2- «... لابد يا حضرة الرئيس من أن تساهم المجموعة الدولية في دعم هذه الشعوب، وشجب المعتدين، ومعكري السلام»

3- «مما يشكل مرتكزا أساسيا لحماية السلم في العالم»

4- «... إلا الرغبة في تعكير السلام، وإرهاب الآخرين»

5- «... بعد استنفاد كل الوسائل السلمية»

6- «... وإلى معسكر عنصري ضد الحضارة والثقافة والتقدم والسلام»

7- «الذي قام على هدم الحضارة والثقافة /.../ وكل ما هو معاد للشعوب للتقدم وللعدل وللديمقراطية والسلام»

8- «هو المطران كبوجي /.../ ويقول إنني أعمل من أجل السلام في فلسطين ليعيش الجميع على السلام بسلام»

9- «هذا الهدف العظم هو من أجل فلسطين أرض القداسة والسلام»

10- «فكيف يمكن لهم أن يرفضوا هذه النموذج الإنساني المشرف على الأرض المقدسة أرض السلام والمساواة»

11- «... ويقبلون العيش معنا في سلام، ودون تمييز على أرض فلسطين الغد»

12- «إننا نقدم لكم أكرم دعوة، أن نعيش معا في إطار السلام والعدل في فلسطيننا الديمقراطية»

13- «السلام يبدأ من فلسطين»

14- «مدّوا إرهابهم إلى مقدساتنا في مدينة السلام»

ومن خلال ملاحظتنا للأمثلة المقدمة لكلمة "سلام" نجد أنها جاءت متنوعة من حيث التوظيف، فالأمثلة من 01 إلى 07 جاءت اللفظة مقترنة بما هو معاد لهذه الكلمة (معكري، تعكير، ضد الحضارة، ... والسلام، هدم للعدل، والديمقراطية، والسلام...الخ)، أما من 08 إلى

[1] خطاب ياسر عرفات، مؤسسة ياسر عرفات

11 فارتبطت اللفظة بفلسطين، والأرض المقدسة؛ فالسلام هو فلسطين، وبهذا يكون "عرفات" وظف قيمة السلام (قيمة مجردة) وفلسطين (قيمة ملموسة) وبالتالي تعلق السلام بفلسطين «كما أنه يؤكد على عدم إمكانية الاستغناء عن القيم المجردة ولا عن القيم الملموسة في الحجاج، لكن لا يمكن أن نعلق بعضها ببعض حسب الحالات»[1]، هذا ما أكده "بيرلمان"؛ ليتجلى في خطاب "عرفات" وبأسمى صورة «ليعيش الجميع على السلام بسلام»[2]، بالإضافة إلى السياق الداخلي للجملة في حد ذاتها؛ فنجد "السلام" موظفة في جمل فعلية، كقوله: «يقبلون العيش معنا في سلام»، وقوله: «أن نعيش معا في إطار السلام» (08-10-11) هذه الجمل الفعلية تفيد التجدد في الزمان، والحدث، إنها دعوة للسلام، وهذا ما أكدته اللغة، أما الجملة الاسمية التي تفيد الثبوت، والاستقرار فنجدها في قوله: «السلام يبدأ من فلسطين»، وقوله: «أرض القداسة والسلام» (09 - 12)، وهذا ما حاول إثباته منذ بداية خطابه، بأن فلسطين أرض للسلام؛ لتستقر في أذهان المتلقين للخطاب، وتحرك مشاعرهم بالمقابل، وفي كثير من الأحيان تأتي كلمة "السلام" متضمنة في جمل استفهامية، كونه يحاول طلب الحصول على الفهم؛ ليتعداه "السؤال" إلى الإفصاح عن معان مضمرة، بغرض الإنكار تارة، والتوبيخ دائما، كقوله: «كيف يمكن لهم أن يرفضوا هذا النموذج الإنساني المشرف على الأرض المقدسة، أرض السلام والمساواة»[3] لقد خاطب "ياسر عرفات" جمهوره بما يناسب المقام؛ ليبني خطابه على قيمة "السلام" (المجرد)، القائمة بدورها على مجموع من القيم الملموسة كالأمن، والعدل، لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو كيف بإمكاننا تحقيق هذه القيمة "السلام" في ظل الحقد الطويل والحروب التي لا تزال قائمة؟ يقول "عرفات": «وعانى من الاحتلال، والتشرد، والنزوح، والإرهاب، ما لم يعان منه شعب آخر، ولكن ذلك كله لا يجعل شعبنا حاقدا يحلم بالانتقام، كما أنه لا يجعلنا يا سيادة الرئيس نقع في سقطة عدونا العنصرية، أو نفقد الرؤية الحقيقة في

---

[1] رشيد أعرضي: عرض موجز للبلاغة والحجاج عند بيرلمان، أفريل 2014.
www.balagharachid.blogspot.com

[2] خطاب ياسر عرفات، مؤسسة ياسر عرفات www.yaf.ps

[3] المصدر نفسه.

تحديد أعدائنا وأصدقائنا»[1] بين "عرفات" أن شعبه لا يحمل أي أحقاد؛ لأن السلام لا يصدر إلا مِمَنْ كانت له إرادة قوية، ووعي، إنها محاولة جادة لتغيير الاعتقاد، وترسيخ القيم، وفتح آفاق جديدة للحوار، بعيدا عن كل «معكر للسلام» خاصة في خضم كل هذه الحروب، والأزمات العالمية، إضافة إلى كل ما ذكر سابقا، ورغم أن "عرفات" استخدم في خطابه لغة شبه قانونية إلاّ أنه في مقابل ذلك كله خاطب العواطف الإنسانية الكامنة في البشر، مركزا على الآلام، والحروب، وويلاتها، وآثارها، معتمدا في ذلك التكرار اللفظي للمقاطع الأولى للجمل في خطابه، كقوله: «لابد، ما زال...الخ» إنه توازي صوتي مصحوب بالتزام خطابي نحو القضية.

ثالثا: المعطيات التي يمكن اعتبارها حجاجا

1. وسيلة الحضور La Présence:

والمقصود بها جعل العنصر المحاجج به ماثلا أمام أعين المتلقي (وسيلة الإحضار)، فبالإضافة إلى أنه عامل جوهري في الاستدلال فإن له أهمية وجدانية وتأثيرية مباشرة؛ فالعاطفة تأخذ في الاعتبار الحاضر، أما العقل فإنه يأخذ في الاعتبار الآتي، وما يليه من أزمنة، وهكذا فإن ما هو حاضر في الذهن يكون أهم، لذا وجب بأن نأخذه بعين الاعتبار، لذا يلجأ المحاجج إلى استخدام أشياء مادية؛ من أجل التأثير في السامعين.[2] وهذا ما أثبته "عرفات" خلال إلقائه بخطابه سنة (1974م)، من خلال حضوره بالكوفية البيضاء، المقلمة بالأسود، فارتبطت به كارتباط القضية الفلسطينية؛ كونها رمزا وطنيا، ترمز لنضال الشعب الفلسطيني، هذه الكوفية إذا تعبر عن موقف مرتديها، يقول "العقيد أبو الطيب" «... ما أرتدى يوما سوى البدلة الكاكية /.../ لم يترك كوفيته يوما، حتى صارت الكوفية تعني أبو عمار والثورة والقضية، وكل هذا الترابط بين القائد والشعب، وبين الإنسان والأرض»[3]، لقد اتخذ "ياسر عرفات" من "المقام" مساعدا له لتحديد وجهته، وإبراز مراده من خلال تمسكه بلباسه، وكوفيته متجاوزا به (اللباس) المفهوم السطحي، والصريح؛ ليصبح «أداة تعبير حرة /.../ إنه "جملة" و"أسلوب" و"نص" يقرأ

[1] خطاب ياسر عرفات، مؤسسة ياسر عرفات www.yaf.ps

[2] عبد الله صولة: في نظرية الحجاج، ص، ص: 31، 32.

[3] محمد الناطور (العقيد أبو الطيب): زلزال بيروت، دار ابن رشد، عمان، ط03، 1986م، ص: 52.

فيه الجسد والثقافة قراءة متفاعلة»[1]؛ ليصبح اللباس لغة عبّر بها "عرفات" عن معتقده، فهو «يريد الجسم وهو حي أن يتمتع في حياته بلباس حي قبل أن يموت، وينفرد به الكفن»[2] إنه تجاوز بدلك مفهوم اللباس، الذي يعني الغطاء والسترة؛ ليكسبه دلالة رمزية، حاضرة بقوة، كحضوره لفعلي.

هذا اللباس تزين بـ "مسدسه" والذي حمله على خصره، ولم يكتف بذلك، بل صرح علنا أمام الجميع في خطابه بأنه يحمل سلاحه معه، يقول عرفات: «جئتكم يا سيادة الرئيس بغصن الزيتون مع بندقية ثائر...»، لقد أشارت الصحف العالمية، وصحيفة إيديعوت الإسرائلية" أن "عرفات" استمرت زيارته (24) ساعة، لم يترك فيها سلاحه للحظة واحدة، مشيرة إلى أنه رفض ذلك، على الرغم من توفير مئات أفراد الشرطة لحراسته[3]، هذا ما حاولت الصحف ادعاءه، لكنه كان حاملا لسلاحه، وفي جميع المحافل، العالمية، والدولية، «كان أبو عمار يرى أن هذا المسدس هو جزء لا يتجزأ من نفسه، وأن في ذلك ما يحمل معنى استمرار الثورة حتى النصر»[4]

إن حضور هذه المعطيات (الكوفية، البدلة، المسدس) اعتبر وسيلة حجاجية، لها السبق في التأثير على أذهان ونفية المتلقي «استفز كل الوعي المكبوت، والمكونات القديمة وروح هؤلاء اللاجئين المهددة بالانقراض، ومع الوقت تحول لطيف رمزي قادم ومن عالم الحكايات والأساطير»[5]

---

[1] توفيق قريرة: «شيء من سميائيات اللباس عند العرب» القدس العربي، 19 جانفي 2017الموقع الإلكتروني www.alquds.com

[2] المرجع نفسه

[3] صحيفة يديعوت احدنوت: أمد تل أبيب 11/16 2013م، 21:24 www.amadps/ar/detaails

[4] إيهاب الريماوي: مسدس ياسر عرفات وبدلته، وفاء وكالة الأنباء والمنظومات الفلسطينية، 08-11-2018م. www.wafa-ps/ar-page

[5] فضل عاشور: تحليل شخصية الرئيسين أبو عمار وأبو مازن، من هو صاحب الشخصية المشرحة، ومن هو صاحب الذكاء العاطفي، دنيا الوطن، بتاريخ 09-10-2013م www.alwatn-voice.com

2. اختيار النعوت أو الصفات Le choix des qualification

إن اختيارنا وتحديدنا لصفة بعينها دون غيرها هو ما سيفضي على الخطاب بوجهة نظرنا وموقعنا، فنوع الصفة، وتحديدها يحدد لنا بدوره نوع الجزاء، وبالتالي سيفضي إلى التصنيف "Classification"، إن المقصد من المحاجج إطلاق الصفة، وليس وضع الموصوف في خانة ما مع سائر العناصر التي تشاركه تلك الصفة، وليس الكشف عن موقفنا منه فحسب، وإنما المقصد الحجاجي من إطلاق الصفة تحديد نوع الموقف الذي ينبغي أن يحكم به عليه.[1]

الجملة	نوعها	النعت	الصفة
«أشكر لكم دعوتكم منظمة التحرير الفلسطيني.»	جملة فعلية موسوعة بواسطة النعت	الفلسطينية	
«إلى أواخر القرن التاسع عشر.»	جملة فعلية موسوعة بواسطة النعت	التاسع عشر	
«وعمدت الحركة الصهيونية إلى تهجير خمسين ألف يهوديا أوروبا.»	جملة فعلية موسوعة بواسطة النعت	أوروبي	
«وخذلت عصبة الأمم بتركيبها القديم شعبنا العربي.»	جملة فعلية موسوعة بواسطة النعت	القديم	
«لا تسقطوا الغصن الأخضر من يدي.»	جملة فعلية موسوعة بواسطة النعت	الأخضر	
«صاغت الإرادة الوطنية إطارها السياسي.»	جملة فعلية موسوعة بواسطة الصفة		السياسي
«وتجلت ملحمة المقاومة الفلسطينية في الوعي العربي.»	جملة فعلية موسوعة بواسطة الصفة		العربي
«وتعلن دولة فلسطين التزامها بمبادئ الأمم المتحدة.»	جملة فعلية موسوعة بواسطة الصفة		المتحدة

[1] عبد صولة: في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ص: 32.

«وتعيش جماهير شعبنا الآن تحت الاحتلال الصهيوني.»	جملة فعلية موسوعة بواسطة النعت	الصهيوني	
«لقد تعرض شعبنا لويلات الحرب والدمار والتشريد سنين طويلة.»	جملة فعلية موسوعة بواسطة النعت	طويلة	
«قامت بمآثر عديدة حضارية وثقافية.»	جملة فعلية موسوعة بواسطة النعت	عديدة	

إذا قمنا بتحليل هذه المعطيات (الصفات، والنعوت) وحددنا نوع الموقف منها من خلال الآتي:

3. الفلسطينية ⟵ الافتخار بالمنظمة.
4. التاسع عشر ⟵ المشكلة ضاربة في التاريخ، وبالتالي يلقي باللوم عليهم؛ كونها لا زالت قائمة.
5. أوروبي ⟵ من خلال نعتهم باليهود الأوروبيين، مقاصد ضمنية، متمثلة في:
   - عدم استقبالهم من طرف الأوروبيين (محرقة هتلر)
   - المؤامرة الأوروبية (وعد بلفور) وترحيلهم، ومساعدتهم على استعمار فلسطين
6. القديم ⟵ هذا النعت يحمل موقفا واضحا وصريحا، وهو اللوم، والحطّ من قيمة التركيبة القديمة، وتحايلها.
7. الأخضر ⟵ والمقصود به أن السلام، والحوار، والتعايش مازال قائما؛ فموقفه السلمي واضح، وصريح.
8. السياسي ⟵ صفة يقصد بها الوعي، وإضفاء الصبغة الدولية على القضية، إنه النضج
9. العربي ⟵ افتخار، واعتزاز، بالانتماء العربي.
10. المتحدة ⟵ إنها صفة للذم، والمدح، في آن واحد؛ كونها أكبر تكتل دولي، من ناحية (العدد) ولكن في الوقت نفسه هذا التكتل الحامل لمبادئ ومواثيق مخترقة من قبل الكثيرين.

11. الصهيوني ⟵ نعت الاحتلال بالصهيوني، وليس اليهودي، وبالتالي فالموقف الفلسطيني واضح، وجلي، فهو يميز بين الديانة، والحركة الصهيونية، وبالتالي فهو موقف معادٍ.
12. طويلة ⟵ نعتها بالطويلة دلالة على المعاناة التي يعيشها الشعب الفلسطيني، وموقفه من الدول التي تناشد بالحرية، ولكنها قابعة مكتوفة اليدين عن قضية طال أمدها.
13. عديدة ⟵ موقفه كان واضحا، من خلال الثناء، والافتخار، بما قدمته فلسطين من مآثر حضارية.

هذه الصفات، والنعوت، تعد ترسانة حجاجية، أبرزت موقف "عرفات" إبرازا جليا في العديد من الأحيان، وفي أحيان أخرى كان موقفها ضمني، مسرب إلى ذهن المتلقي، وذلك كي يتقبلها المتلقي.

نخلص إلى أن "عرفات" اعتبر هذه الوقائع هي التي حالت بين القضة الفلسطينية والسلام في كثير من الأحيان، محاولا بذلك رصدها أولا، ثم إحصاءها؛ ليبين أثرها على العالم بصفة عامة، والعالم العربي، والقضية الفلسطينية، بصفة خاصة؛ لتصبح ركيزة داعمة لحجة، وإضفاء الصبغة الواقعية؛ كونها منطلقا يجمع على وقوعها الجميع، فلا اعتراض عليها، من ناحية اعتبارها درسا، فالتاريخ أكبر شاهد على المجتمعات، وسجل حافل بالانتصارات، والانتكاسات، هذا ما حاول "ياسر عرفات" أن يجعله الرابط والسياق التاريخي المشترك للبشرية بينه وبين المتلقي.

الفصل الثالث: الحجاج وتقنياته

1. تقنيات الحجاج عند بيرلمان
2. تقنيات الحجاج في خطاب ياسر عرفات

تقوم البلاغة الجيدة أو نظرية الحجاج عند "بيرلمان" على مجموعة من الحجج الوصلية، والفصلية «فالأولى تمكن من نقل القبول الحاصل حول المقدمات إلى النتائج، والثانية تسعى إلى الفصل بين عناصر ربطت اللغة أو إحدى التقاليد المعترف بينهما»[1]

أولا-الحجج القائمة على الوصل: تنقسم إلى[2]

حجج شبه منطقية "Les arguments quasi Logiques"

حجج مؤسسة على بينة الواقع " Les arguments fon des sur la structure du réel"

حجج مؤسسة لبينة الواقع " Les arguments qui fondes la structure du réel"

1-الحجج شبه المنطقية:

وهي التي «تستمد قوتها الإقناعية من مشابهتها للطرائق الشكلية "**Formelle**" والمنطقية والرياضية في البرهنة، لكن هي تشبهها فحسب، وليس هي إياها، إذ فيها ما يثير الاعتراض»[3]، تقترب من المنطق الصوري والرياضي، ولكنها لا تساويه، وإلا أصبح الحجاج برهة، وهذا يتعارض مع مفهومه، وطبيعته الاحتمالية الممكنة، فهي قابلة للرد؛ كونها شبه منطقية، ولأنها تستمد قوتها من خلال بعض المبادئ المنطقية، كالتعارض، والتماثل التام، والجزئي، والتعدية، وتنقسم إلى:[4]

[1] الحسين بنو هاشم: في نظرية الحجاج عند بيرلمان، ص: 57.

[2] المرجع نفسه، ص: 57.

[3] عبد الله صولة: في نظرية الحجاج، ص: 42.

[4] عباس حشاني: خطاب الحجاج والتداولية دراسة في نتاج ابن باديس الأدبية، عالم الكتب الحديث، ط: 01، 2014م، ص: 85.

أ- التناقض والتعارض: Contradiction et incompatibilité

والمقصود بالتناقض "Contradiction" هو أن تكون هناك قضيتان (02) "Proposions" في نطاق مشكلتين إحداهما نفي للأخرى، ونقض لها؛ أي أنه جمع بين إثبات، ونفي؛ أي أن هناك قضية تنقض قضية أخرى، وتنفيها، وبالتالي يستحيل الجمع بينهما.[1]

نوع الحجة	المقطع
تناقض	«إن هيئة الأمم اليوم ليس هيئة الأمس، ذلك لأن عالم اليوم ليس هو عالم الأمس»
تناقض	«لاستمرار في أداء دوره الحضاري والإنسان على أرض فلسطين/.../ وتكفينا نظرة سريعة لمواقف إسرائيل العنصرية»
تناقض	«أعطت بريطانيا [المقصود وعد بلفور] وهي لا تملك وعدا للحركة الصهيونية وهي لا تستحق /.../ وفرضت علينا قسرا الاستعمار البريطاني بصورة الانتداب /.../ بالتمكين للغزوة الصهيونية من أرضنا»
تناقض	«عندما يقولون إن الحل الوحيد لمشكلتهم هو أن ينفصلوا عن الأمم والمجتمعات التي هي جزء منها عبر تاريخ طويل، ثم يهاجرون ليستوطنوا أرض شعب آخر ويحلوا محله بالقوة والإرهاب»
تناقض	«تقفوا مع نضال شعبنا من أجل تطبيق حقه في تقرير مصيره، هذا الحق الذي كرسه ميثاق منظمتكم وأقرته جمعيتكم الموقرة في مناسبات عديدة»
تناقض	«عانى من الاحتلال والتشريد والترويع والإرهاب ما لم يعان منه شعب آخر، ولكن ذلك كله لا يجعل شعبنا حاقدا يحلم بالانتقام كما لا يجعلنا يا سيادة الرئيس نقع في سقطة عدونا العنصرية، أو نفقد الرؤية الحقيقة في تحديد أعدائنا وأصدقائنا»

[1] شعبان أمقران: «تقنيات الحجاج في البلاغة الجديدة عند شاييم بيرلمان» إشراف: حفيظة روابنية، مجلة التعليمية، ع15، مج05، سبتمبر 2018م، جامعة باجي مختار عنابة، الجزائر، ص: 225.

أما التعارض "Incompatibilité" فهو مجال الحجاج؛ حيث يقدم المرء دعوى معينة مما يسلم بها الجمهور، ثم يعارضها بأخرى، مخالفة للواقع، والمقام، فيقع فيما سماه بيرلمان بالسخرية والهزء Ridicule وهي من أهم الأسلحة الحجاجية.[1]

نوع الحجة	المقطع
تعارض	«يطمح أن يرى العلاقات الدولية بين الدول كافة، تقوم على أساس المساواة، والتعايش السلمي وعدم التدخل في الشؤون الداخلية، وتأمين السيادة الوطنية والاستقلال، على أساس العدل، والمنافع المتبادلة، يطمح أن تصب الجهود الإنسانية على مكافحة الفقر والمجاعة /.../ لكن ذلك كله يصطدم بواقع عالمي ما زال يسوده الاضطراب، والاضطهاد العنصري، والاستغلال، وما زال مهددا بالكوارث الاقتصادية»
تعارض	«من هنا يبدأ حذر المشكلة الفلسطينية، إن هذا يعني أن أساس المشكلة ليس خلافا دينيا، أو قوميا بين دينين أو قوميتين، وليس نزاعا على حدود بين دول متجاورة، إنه قضية شعب اغتصب وطنه، وشرد من أرضه لتعيش أغلبيته في المنافي والخيام»
تعارض	«وإنني أتساءل يا سيادة الرئيس لماذا يدفع شعبنا الفلسطيني الثمن؟ لماذا يتحمل شعبنا ووطننا مشكلة الهجرة اليهودية؟ إذا كانت لا زالت مثل هذه المشكلة باقية في مخيلة البعض وأتساءل لماذا لا يتحمل المتحمسون لهذه المشكلة؟ إن وجدت المسؤولية فيفتحوا بلادهم كبيرة الرقعة والقادرة لاستعاب هؤلاء المهاجرين ومساعدتهم، لماذا؟»
تعارض	«إن الجانب الذي يقف فيه حامل السلاح هو الذي يميز بين الثائر والإرهابي، فمن يقف في جانب العادلة، ومن يقاتل من أجل حرية وطنه واستقلاله ضد العدو والاحتلال والاستعمار لا يمكن بأي حال أن تنطبق عليه صفة الإرهابي، وإلا اعتبر الشعب الأمريكي حين حمل السلاح ضد الاستعمار البريطاني إرهابيا، واعتبرت المقاومة الأوروبية ضد النازية إرهابا...الخ، واعتبر الكثيرون منكم في هذه القاعة إرهابيين»

[1] محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص: 128.

في مجمل هذه الحجج التي ساقها الخطيب، يبرز التناقض والتعارض الواضحين من قبل الحكومة الأمريكية، لقد ميز "ياسر عرفات" بين القادة والشعب الأمريكي، لقد حمّل الحكومة ومنظماتها كامل المسؤولية، وهنا يتجلى التناقض والتعارض، فتقع السخرية من الحكومات/المنظمات، تلبس لباس المدافع عن الحرية، والسلم، والعدالة، لكنها تتجرد منه أمام القضايا الإنسانية العادلة؛ لتقف مع الأقوى، وتمارس العنصرية التي مورست عليها قبل قرون، لذا حاول "ياسر عرفات" دحض القضايا الخاطئة بالقضية الصحيحة، والتي تصب في مجرى القضية الفلسطينية.

قامت الأساليب الإنشائية بدورها في العملية الحجاجية فكثيرا ما تبنى الحجة بأسلوب إنشائي، وكثيرا ما يعضد الأساليب الإنشائية حججا قائمة بذاتها، بما توفره من إثارة، وما تستدعيه من عواطف، وأحاسيس؛ ذلك أن الأساليب الإنشائية –خلافا للخبرية– لا تنقل واقعا ولا تحكي حدثا فلا تحتمل تبعا لذلك صدقا أو كذبا، أنما تثير المشاعر، وتشحنه بطاقة حجاجية هامة؛ لأن إثارة المشاعر ركيزة كثيرا ما يقوم عليها الخطاب الحجاجي، وهذا ما أكده "أوليران" في قوله: «الأمر والتهديد وإثارة مشاعر الخوف كلها حجج؛ لأنها دون أن تحدد آليا الموقف توفر الأسباب الداعية لاختيار هذا الموقف»[1]، ومن أمثلة ذلك (لا تملك، لا تستحق، لا يجعلنا، لا يجعل، ليس...الخ).

إن النفي يحمل معنى الدعوة؛ لأنه يهدف إلى توجيه المتلقي نحو سلوك معين، ومحدد، فالنفي أسلوب إنشائي ينتمي إلى صنف الأفعال فسماها "أوستن Actes Perlocutionnaire" أي الأقوال التي فيها إنجاز لأفعال معينة ولكنه إنجازي ضمني.[2]

لقد قام "ياسر عرفات" وفي العديد من المرات بالنهي من باب التجربة المعيشة التي جعلت منه محنكا، وحكيما من جهة، وجديرا بأن يصغى إليه من جهة أخرى، "لابد يا حضرة

---

[1] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجري بنيته وأساليبه، ص: 10.

[2] ياسمينة عبد السلام: «نظرية الأفعال الكلامية في ظل جهود أوستن» مجلة مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، ع10، 2014م، جامعة بسكرة، الجزائر، ص: 108.

الرئيس" فهو يدعو بإلحاح إلى النظر في القضية الفلسطينية، وقضايا الشعوب الأخرى المطالبة بالسلام.

ونجد أهمية المسألة في التعارض (السؤال) تكمن في إثارة النقاش، ومن ثمة الحجاج، إنه وسيلة من وسائل الإثارة، ودفع الغير إلى إعلان موقفه إزاء مشكل مطروح، يقول: «لماذا يدفع شعبنا الفلسطيني الثمن؟ لماذا يتحمل شعبنا ووطننا مشكلة الهجرة اليهودية؟ إذا كانت لا زالت مثل هذه المشكلة باقية في مخيلة البعض وأتساءل لماذا لا يتحمل المتحمسون لهذه المشكلة؟»، فالإجابة مهما كان نوعها لابد أن تسلم بتلك الافتراضات، بل تُقِرُ ضمنيا بصحتها، إنه يطرح إشكالية علاقة الإنسان بالمكان، علاقة المنفي بمكان كان له فيه ماضٍ، وذكريات، إنها سخرية مريرة حاملة في طياتها الإحساس بالعجز. إضافة إلى سخريته واستهزائه المعلن، والصريح بقوله: «...وإلا اعتبر الشعب الأمريكي حين حمل السلاح ضد الاستعمار البريطاني إرهابيا، واعتبرت المقاومة الأوروبية ضد النازية إرهابا...الخ»، ليتعدى الوقائع الماضية، ويسقطها على الحاضرين، يواجههم علنا بقوله: «واعتبر الكثيرون منكم في هذه القاعة إرهابيين»، كما وظف جملة اعتراضية في قوله: «–إن وجدت المسؤولية–» بين الشرط وجوابه، ومحل الاعتراض حجة، غرضها التحدي، والتعجيز، يتحدى بعض قادة العالم، فقد تجرؤوا على اعتبارها مشكلة هجرة، توفرت هذه الحجة على رابط هو "الواو"، ومن شأنه الربط بين الحجج، كما احتوت على عامل حجاجي تمثل في "الفاء"، بتحديد دوره في الفصل والتعارض بين نتيجة الحجج التي قبلها على نتيجة الحجج التي بعدها.

ب- التعريف:

ميز "بيرلمان" بين أربعة أنواع من التعريفات في اللغة الطبيعية:[1]

- التعريف المعياري الذي يفرض طريقة استعمال لفظ ما.
- التعريف الواصف الذي يبين الاستعمال العادي له.
- التعريف المكثف الذي يبين العناصر الأساسية للتعريف الواصف.
- التعريف المركب الذي ينسق بشكل متنوع عناصر من التعريفات السابقة.

[1] الحسين بنو هاشم: في نظرية الحجاج، ص: 62

هي الأنواع سنحاول تبينها في خطاب "عرفات" مصحوبة بالتحليل والقراءة:

الحجة	نوعها
«ليشهد انهيار العالم القديم، عالم الاستعمار، والإمبريالية، والاستعمار الجديد، والعنصرية بكافة أشكالها، وأبرزها الصهيونية.»	التعريف رقم (03)
«من هنا يبدأ جذر المشكلة الفلسطينية، إن هذا يعني أن أساس المشكلة ليس خلافا دينيا، أو قوميا بين دينين أو قوميتين، وليس نزاعا على حدود بين دول متجاورة، إنه قضية شعب اغتصب وطنه، وشرد من أرضه، ليعيش أغلبيته في المنافي والخيام.»	التعريف رقم (04)
«لقد اكتسب منظمة التحرير الفلسطينية شرعيتها من طليعتها في التضحية، ومن قيادتها للنضال بكافة أشكاله من الجماهير /.../ بصفتها الممثلة الشرعية الوحيدة للشعب الفلسطيني.»	التعريف رقم (03)
«إن منظمة التحرير الفلسطيني هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، وهي بهذه الصفة تنقل إليكم تلك الرغبات والأماني وتحملكم مسؤولية تاريخية كبيرة اتجاه قضيتنا العادلة.»	التعريف رقم (02)
«إنني بصفتي رئيسا لمنظمة التحرير، وقائدا لقوات الثورة الفلسطينية إنني كرئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية، وكقائد للثورة الفلسطينية (ذكرت مرتين).»	التعريف رقم (01)

نلمح من خلال هذه التعريفات أنها ليست اعتباطية، فهي مرتبطة بأحكام مسبقة، وخلفيات تقييمية، وعاطفية. وعندما صرح "عرفات" في آخر الخطاب مرارا وتكرارا بأنه رئيس للمنظمة التحريرية الفلسطينية عدّ هذا **التعريف تعريفا معيارا**؛ لأنه يعين مفهوما، ثم يقومه، لذا عين "عرفات" في بدايات خطابه مفهوم المنظمة، وكيفية اكتسابها لشرعيتها، فمنحها قيمة "الشرعية" هذه القيمة الممنوحة للمعرِّف انتقلت للمعرَّف، وهو "عرفات"؛ ليكتسي بدوره صفة الشرعية المكتسبة للمنظمة، وبالتالي فالتعريفات في الحجاج غير اعتباطية، إنما تكتسي التبرير، فهي محط جدال، وهذا ما أمدّ المعرَّف (عرفات) قابلة لتعويض المعرِّف (المنظمة).

أما في **التعريف المكثف الذي يبين العناصر الأساسية للتعريف الواصف** فإن هذا النوع من التعريفات يكون توجيها، وبالتالي بإمكاننا تعويض العبارات بعضها ببعض، وينساق المتلقي

إلى تصورات الخطاب، ويبعده عن كل التأويلات، والتي قد تخالف هذا الأخير، ففي المثال الأول: ينساق المتلقي إلى **الأوصاف** (الاستعمار، الإمبريالية، الاستعمار الجديد، العنصرية)، ويسلم بها، وبأنها تشكل العالم القديم، هذا الاستطراد في العناصر، والأوصاف يتبعه **تعريف مكثف هو**: الصهيونية، فهي كل ما ذكر سابقا؛ ليجد المتلقي نفسه مسلما بهذا التعريف، بما أنه صادق على العناصر السابقة، ونفس الأمر نلمحه في التعريف الثالث؛ لنجد "عرفات" ساق مجموعة من العناصر التي مكنت المنظمة من اكتساب الشرعية، هذه العناصر منها ما هو داخلي (التضحية، قيادتها، الجماهير الفلسطينية، الفصائل، النقابات، المجلس الوطني، المؤسسات الجماهيرية)، ومنها ما هو خارجي (مؤازرة الأمة العربية، القمة العربية، حركات التحرر، دول العالم الصديقة).

التعريف المركب الذي ينسق بشكل متنوع عناصر من التعريفات السابقة، نجد في هذا التعريف نفي لتعريفات سابقة:

التعريف المركب= { التعريف الأول: خلاف ديني، أو قومي بين دينين، أو قوميتين ⬅ نفيه
التعريف الثاني: نزاع على الحدود بين الدول المتجاورة ⬅ نفيه

شعب اغتصب وطنه، وشرد من أرضه.

إن التعريف المركب نفى عنه م ذكر سابقا في التعريفين، الأول، والثاني؛ لينسق تعريفا جديدا مركبا على نفي ما تقدم سابقا، وليصبح أكثر بساطة، وعمقا، إنه "شعب"، نافيا عنه المحمولات الدينية، والقومية "اغتصب وطنه"؛ أي بالقوة، والنتيجة "شرد من أرضه".

ج-قاعدة العدل والتبادلية: La régle de justice et la réciprocité

تعتمد على البنى المنطقية للتبادل، وذلك حين يُبَادِلُ بين قضيتين تبدوان متماثلتين متشابهتين ومن الصنف نفسه، ولكنه تبادل عكسي انطلاقا من مبدأ العدل بينهما، يقول "بيرلمان": «إن الاقتداء بالسوابق ليس إلا تطبيقا لقاعدة العدل»[1]

[1] الحسين بنو هاشم: في نظرية الحجاج عند بيرلمان، ص: 64.

إن التعامل مع وضعيتين متشابهتين بطريقتين مختلفتين يعتبر سلوكا غير عادل، أو الكيل بمكيالين، من هذا المنطلق دعم "ياسر عرفات" خطابه حجاجا ومن أمثلة ذلك:

نوع الحجة	المقطع
التبادلية	«وقد استطاع هذا الكيان الصهيوني وبدعم من دول الاستعمار والامبريالية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية أن يتحايل على هيئة الأمم لقبوله في عضويتها ثم شطب قضية فلسطين من جدول أعمالها»
التبادلية	«إنني كريس لمنظمة التحرير الفلسطينية، وكقائد للثورة الفلسطينية، أتوجه إليكم أن تقفوا مع نضال شعبنا، من أجل تحقيق حقه في تقرير مصيره، هذا الحق الذي كرسه ميثاق منظمتكم، وأقرته جمعيتكم الموقرة في مناسبات عديدة»
التبادلية	«لابد أن يوضع حد لعمليات النهب، الاستغلال، وامتصاص ثروات الشعوب الفقيرة، وعرقلة جهودها من أجل التنمية والسيطرة على ثرواتها ورفع الحيف عن اسعار مواردها الأولية»
التبادلية	«لابد لهذه الهيئة أن تقف بحزم ضد القوى التي تحاول تحميل مسؤوليات التضخم المالي على كاهل البلدان النامية وخاصة البلدان المنتجة للبترول، وأن تسحب التهديدات التي تتعرض لها هذه البلدان بسبب مطالبها العادلة»
التبادلية	«إن الذين ينعتون ثورتنا بالإرهاب، إنما يفعلون ذلك لكي يظللوا الرأي العام العالمي عن رؤية الحقائق /.../ والذي يمثل جانب الظلم، والإرهاب، والقهر»

من خلال ما ورد من حجج اعتمدت على قاعدة العدل؛ لتغيير وجهة نظر المتلقي، وحمله على تغيير وضعه، واستبدال موقفه الأصلي بموقف ثانٍ، فكان المقصود بالخطاب متلقي خاص "Cible"[1]

[1] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرى بنيته وأساليبه، ص: 29

الأطروحة المعروضة ≠ المتلقي باعتباره نصر الأطروحة المرفوضة

المتلقي الخاص

(هدف الحجاج)

إن "عرفات" (الباث) يعلم جيدا أنه يخاطب متلقيا خاصا، لكنه يخصه بخطاب يحاول فيه تجاوزه مخاطبا من هم أبعد منه؛ أي متلقين محتملين (كوني)، آخذا بعين الاعتبار أفاق انتظارهم، ومختلف اعتراضاتهم الممكنة، لكن بشكل ضمني.

لقد وظف الضمائر الغائبة (180ضميرا)، كقوله: (عضويتها، أعمالها، أقرته، كرّسه، جهودها...الخ)، هذه الضمائر الغائبة تعود على أبناء الشعب الفلسطيني والأراضي الفلسطينية المحتلة، ولأبطالها، وشهدائها، وللمدن والقرى...الخ، وللعدو الصهيوني، لقد وكلوه لإيصال قضيتهم إلى الجهات الدولية، أما كونه المتكلم، ومنتج الخطاب، وفاعله كقوله إنني أتوجه...الخ (150 ضميرا) كان في مجملها ضمائر تهدف لأداء وظائف بلاغية، تأثيرية، القصد منها كسب المشاعر، ومنها الإقناع، رغم التوازن الحاصل على المستوى اللغوي، وتوظيفاته (الشكلي)، إلا أن المفارقات زعزعت التوازن الداخلي، ونفت المعايير

الاستعمار والإمبريالية ≠ الحق في تقرير المصير والتنمية.

النهب، الاستغلال، امتصاص الثروات، عرقلة التنمية، بخس المواد الأولية، الظلم، الإرهاب، الفقر ≠ العدالة، المساواة، العيش الكريم.

تعبر هذه المفارقة من الحجج الاستفزازية وصدم الرأي العام بأن وضعه داخل الصورة، محملا إياه المسؤولية كاملة.

د- حجة التعدية:

أساس هذه الحجة وجوهرها المعادلة الرياضية التالية:

أ x ب

أ x ج ⟵

ب x ج

مضمونها أنها كانت هناك علاقة معينة سواء مساواة "Egal" أو تضمين "inclusion" أو كبّر "Plus grand que" هذه السمات الصورية قابلة للنقل إلى حقل الحجاج، واللغة الطبيعية، ويمكن أن نلخص هذه العلاقة في هذه الإمكانات:[1]

(أ) = (ب) و (ب) = (ج) إذن (أ) = (ج)

(أ) ≠ (ب) و (ب) ≠ (ج) إذن (أ) ≠ (ج)

(أ) ⊃ (ب) و (ب) ⊃ (ج) إذن (أ) ⊃ (ج)

وحجة التعدية حجة خطية استنتاجية تقوم عادة على الروابط (بما أن ... فإن)

نوع الحجة	الحجة
التعدية	«فقد أصبحت هيئة الأمم اليوم تمثل 138 دولة، وأصبحت تعكس بصورة نسبية أوضح إدارة المجموعة الدولية، ومن ثم فقد أصبحت أكثر قدرة على تطبيق ميثاقها، ومبادئ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وأكثر قدرة على نصرة قضايا العدل والسلام»
التعدية	«وهذا ما بدأ يلمسه شعبنا، وتلمسه شعوب آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، الأمر الذي أخذ يعلي مكانة هذه المنظمة الدولية في عيون شعبنا، وعيون بقية الشعوب، ونريد من الآمال التي تعلقها شعوب العالم على مساهمة هيئة الأمم في نصرة قضايا السلم، والعدل، والحرية، والاستقلال، وتشييد عالم

[1] سراب الرحموني: الحجاج في بنية كتاب طوق الحمامة في الألفة والإلاف لابن حازم الأندلسي، دار سحر المعرفة، تونس، (د، ط)، 2013م، ص: 25.

	خال من الاستعمار والإمبريالية، والاستعمار الجديد، والعنصرية لكافة أشكالها بما فيها الصهيونية»
التعدية	«ما زال السباق على التسلح على أشده في العالم، الأمر الذي يهدد العالم بضياع ثروته، وتبديد جهوده على هذا السياق، فضلا عن إبقائه في خطر انفجارات مسلحة خطيرة، إن الحد من السياق على التسلح وصولا إلى تدمير الأسلحة النووية وتخصيص ما يصرف من مبالغ طائلة على مجالات التقنيات العسكرية في ميدان تقدم العلوم /.../ وهذا ما تتوقع الشعوب على أن تعمل هيئتكم [هيئة الأمم المتحدة] باتجاهه»

تمثل الحجة الأولى الإمكانية الأولى: (أ) = (ب) و (ب) = (ج) إذن (أ) = (ج) ونوضح ذلك:

أصبحت هيئة الأمم اليوم تمثل 138 دولة (أ) = تعكس بصورة نسبية أوضح إدارة المجموعة الدولية(ب)= أكثر قدرة على تطبيق ميثاقها، ومبادئ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وأكثر قدرة على نصرة قضايا العدل والسلام (ج) إذن أصبحت هيئة الأمم اليوم تمثل 138 دولة (أ)= فهي أكثر قدرة على تطبيق ميثاقها، ومبادئ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان (ج)

إن الخطيب وظف الرابط (الواو) للربط بين القضايا مما أحدث هرمية في شأن القيم (القدرة، المبادئ، القوق الإنسانية، العدل، السلام...الخ)، إضافة إلى التكرار اللفظي في قوله: "أكثر قوة"، هذا التكرار دعم الفكرة وأبرز حضورها المقصود لإيصالها والتأثير بها.

مثلت الحجة الثانية الإمكانية الثالثة (أ) ⊇ (ب) و (ب) ⊇ (ج) إذن (أ) ⊇ (ج)

هذا ما بدأ يلمسه شعبنا، وتلمسه شعوب آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية (أ) الأمر الذي أخذ يعلي مكانة هذه المنظمة الدولية في عيون شعبنا، وعيون بقية الشعوب...الخ (ب) تشييد عالم خال من الاستعمار والإمبريالية، والاستعمار الجديد، والعنصرية لكافة أشكالها بما فيها الصهيونية (ج) إذن هذا ما بدأ يلمسه شعبنا، وتلمسه شعوب...الخ تشييد عالم خال من الاستعمار والإمبريالية...الخ

إن لفظة "شعب" تعددت بمختلف الصيغ (شعبنا، شعوب، شعبها، الشعوب) بفقرة واحدة هذا التكرار الحسي المجسد جعل الحجة أكثر تشخيصا؛ كونه ابتعد عن اللفظ المجرد (كالدولة، الحكومة...الخ)، إضافة إلى إضفاء الصبغة المدنية (المسالمة) فكلمة "شعب" مجسدة من ناحية ومجردة من ناحية الأيدولوجيات، والخلفيات السياسية، والاقتصادية...الخ، لقدى بنى حججه بشكل تصاعدي من خلال حروف الربط بين المصطلحات والمفاهيم الدالة (الاستعمار، الإمبريالية، الاستعمار الجديد...الخ)، هذه المفاهيم والممارسات جسدها الخطيب بمصطلح جامع، وهو "الصهيونية".

لقد بدأ بمقدمات مشهورة تسعى لها البشرية جمعاء (السلم، العدل، الحرية، الاستقلال...الخ)، ليستنتج أن "الصهيونية" هي شكل من أشكال الدمار العالمي، وهي نقيضة لـ (السلم، والعدل، والحرية...الخ)

وتمثل الحجة الثالثة الإمكانية الثانية (أ) ≠ (ب) و (ب) ≠ (ج) إذن (أ) ≠ (ج) ونوضح لذلك:

السباق على التسلح /.../ الأمر الذي يهدد العالم بضياع ثروته، وتبديد جهوده على هذا السباق، فضلا عن إبقائه في خطر انفجارات مسلحة ≠ الحد من السياق على التسلح ≠ وتخصيص ما يصرف من مبالغ طائلة على مجالات التقنيات العسكرية في ميدان تقدم العلوم...الخ ≠ توقعات الشعوب [الواقع] لقد أضمر القضية (ج) وبالتالي فتح المجال أمام التأويل، أما الاستنتاج فكان مجرد تمني، وبالتالي فالقضية (ج) السياق على التسلح ≠ الواقع الذي يطمح إليه الشعب، والمتوقع من هيئة الأمم، لذا استخدم الخطيب الرابط الحجاجي (ما) كقوله: "ما يصرف، ما تتوقع"، مما أدخل عليها بعدا حجاجيا أعمق وأنجح في التوجيه نحو النتيجة الضمنية.

نتحدث في الخطاب عن تعدد الأصوات (المتكلم، المعارض، المتردد...الخ)، غير أن الضمير المبني للمجهول أكثر ما في الخطاب تعبيرا عنه، وهو يستعمل لغايتين مختلفتين، هنا:[1]

- تعبر عن وجهة نظر مناقضة لوجهة نظره، وفصل صوته عنها، فهو يسند الأصوات المعارضة الرافضة لهذه الفكرة، ويجعله قائما مقامهم (الخصوم والمعرضون)، هذا النوع الحجاجي يوظفه "ياسر عرفات" بقوله (تُمثل، نُصرة، يُعلي).
- الضمير يعبر عن آراء متشابهة لآرائه، ومواقفه، فيأتي في مقام المساند، والمعاضد، يقدمه، ويدعو له (تُعلقها، تُشيد)

هـ-حجة التقسيم L'argument d'inclusion

هذه الحجج تلجأ إلى تقسيم الكل، باعتباره أهم، وأفضل، وأشمل، إلى أجزائه المكونة فهي نوع إثبات حضور "Présence" للكل، من خلال إثبات أجزائه، لذا وجب أن يكون تعداد الأجزاء شاملا وإلا تحطم كل ما بناه الخطيب وإثار ضحك الآخرين، ومن أمثلة ذلك:[2]

نوع الحجة	الحجة
التضمين (تقسيم الكل إلى أجزاء)	«ما زال الاضطراب على أشده في منطقتنا، فالكيان الصهيوني مثبت بالأراضي العربية التي احتلها، ويتابع عدوانه علينا، بجانب استعداداته العسكرية المحمومة، يشن حربا عدوانية جديدة، ستكون الخامسة في سلسلة حروبه العدوانية، ولنا أن نتحسب مع ما يصدر من إشارات عنه، من أن تكون حربا نووية تحمل الفناء، والدمار»

لقد بنى الخطيب حجته الكلية (الحرب النووية) من خلال حضور الأجزاء (متابعة العدوان، الاستعداد العسكري، الحروب السابقة، والخامسة القادمة) هذا التقسيم أمدّ بحضور الكل، ووظف الجملة الفعلية (406 جملة)، بمقابل (276 جملة اسمية)، فالجملة الفعلية تدل على الحيوية، والتجدد؛ إذ يقول الجرجاني: «أما الفعل فموضوعه على أنه يقتضي تجدد

[1] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرى بنيته وأساليبه، ص، ص: 158، 159.

[2] الحسين بنو هاشم: في نظرية الحجاج عند بيرلمان، ص: 68.

المعنى المثبت به شيئا بعد شيء»، إذا الجمل الفعلية تمتاز عن غيرها بالحيوة، والحركة، والتجديد، الذي يمنح للمخاطب تفاعلا بالحدث المعبر عنه في هذه الجمل (يتابع عدوانه، ستكون الخامسة، أن نتحسب، تحمل الفناء والدمار...الخ)، لتشكل اندماجا مع الظروف والعالم الخارجي، المحيط والمؤثر في الخطاب، وتسهل عملية دمج المتلقي في الخطاب، وإشراكه، مما يسهل على المخاطِب إقناعه بفكرته المراد إيصالها له، فهي تستخدم الأحداث، سواء كان زمنها ماضيا أو حاضرا، فالتجدد قائم فيها دون الالتفات إلى الزمن الحاضر أو المستقبل، وهذا ما يحدثه خطاب "ياسر عرفات"، فالأفعال انتقلت بنا من الماضي إلى الحاضر، ونحو المستقبل، في حركية وتجدد جعلنا نندمج في الخطاب، دون الالتفات إلى الزمن.

و-حجة المقارنة L'argument comparaison

تنتمي هذه الحجة إلى الحجج الشبه المنطقية، والتي تتميز بكون الحجاج مبنيا على المقارنة بين الأشياء من أجل تقييمها والحكم عليها، وتم ذلك وفق ما تقتضيه الحاجة، فهي مقياس ترجحي.[1]

نوع الحجة	الحجة
المقارنة	«إن العالم بحاجة إلى أقصى الجهود من أجل تحقيق مطامحه في السلم والحرية، والعدل، والمساواة /.../ أما بقاء الوضع الحالي فلن يفعل أكثر من أن يبقى العالم معرضا لأخطر الصراعات المسلحة، للكوارث الاقتصادية، والإنسانية، والطبيعية»
المقارنة	«رغم هذا الوضع المتأزم الذي يسود العالم، ورغم ما في عالمنا من قوى ظلام، وتأخر، فإن عالمنا اليوم يعيش أياما مجيدة، إنه يشهد انهيار العالم القديم، عالم الاستعمار والإمبريالية»
المقارنة	«كما استخدم الاستعمار والمستوطنون أفكار التمدن، والتحضر؛ لتبرير الغزو، والنهب، والعدوان في أفريقيا، وغيرها، كذلك استخدمت هذه الذرائع لغزو فلسطين، بموجات المهاجرين الصهاينة، وكما استخدم الاستعمار

[1] الحسين بنو هاشم: نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، ص: 71.

	والمستوطنون الدين، واللون، والعرق، واللغة، /.../ كذلك استخدمت هذه الأساليب للوطن الفلسطيني»
المقارنة	«أصبح عدد اليهود في فلسطين عام 1947 حوالي ستمائة ألف، يملكون أقل من 6٪ من أراضي فلسطين الخصبة بينما كان تعداد عرب فلسطين حوالي مليون وربع المليون نسمة»
المقارنة	«وتعتبر منظمة التحرير الفلسطينية وهي تخوض المعارك المسلحة وتواجه قساوة الإرهاب الصهيوني، قامت بمآثر عديدة، حضارية، وثقافية /.../ وربما امتد ذلك إلى الثقافة العالمية /.../ وكنا بذلك النقيض لعدونا، الذي قام على هدم الحضارة، والثقافة، بترويج الأفكار العنصرية /.../ وكل ما هو معاد للشعوب، وللتقدم، وللعدل، وللديمقراطية، والسلام»
المقارنة	«لشد ما يتألم شعبنا حين يسمع تلك الدعايات التي تقول: إن أراضيه كانت صحراء، فعمرها المستوطنون الأجانب، وإن وطنه كان خاليا من السكان /.../ وإنني كأحد أبناء بيت المقدس أحتفظ لنفسي ولشعبي بذكريات جميلة، وصور رائعة، عن مظاهر التآخي الديني /.../ قبل حلول النكبة بها»
المقارنة	«لو كان تهجيرهم إلى فلسطين بهدف العيش كمواطنين متساوين معنا بالحقوق والواجبات، لكنا أفسحنا لهم المجال /.../ كما حدث مع عشرات الآلاف من الأرمن والشركس، الذين ما زالوا بيننا أخوة /.../ إن ثورتنا منذ البداية ضد العنصرية الصهيونية»
المقارنة	«/.../ نفرق بين اليهودية، والصهيونية، وفي الوقت الذي نعادي الحركة الصهيونية الاستعمارية، فإننا نحترم الدين اليهودي؛ لأنه جزء من تراثنا»

وظف الخطيب في حججه –المبنية على المقارنة– الفعل الماضي، وذلك مدعاة لاستثارة المتلقين، كونه ماضيا مؤلما، مليئا بالحروب والمجازر والاعتداءات الإسرائيلية من جهة، ومن جهة أخرى حاملا لذكريات (أرض المقدس)، والتآخي الديني، فوازن مع الاستشهاد ببعض الموقف السابقة (الشركس، الأرمن، التآخي بينهم وبين اليهودي الإنسان...الخ)، والبطولة للشعب الفلسطيني، والإشادة بها من أمثلة ذلك: (عانت، بدأ، هدم، استخدم)، هذه الأخيرة

تكررت سبع مرات، وتعني توظيف الشيء والعبد لخدمة سيده، وهي فكرة ملفوظ ضمني استخدمه الخطيب لإيصال فكرته تدريجيا.

والخطاب في مجمله قائم على المقارنة، والموازنة، لهذا اعتبرت الحجة نواة الخطاب ومركزا لجذب المتلقي، بما يحمله من دلالات زمنية سحيقة الماضي؛ ليربط بين (الزمن + الثقافة = المقوم الزمني الثقافي)، مما أضفى على النص بعدا روحيا، كيف لا وهو يتحدث عن فضاء مرتبط بالذاكرة الجماعية (أرض الرسالات السماوية)، ورغم هذا الارتباط الروحي بالأرض (الفلسطيني - الأرض) إلا أنه وقع انفصال قسري (فلسطين ≠الأرض)، ومن هنا بدأ الصراع على الأرض.

2-الحجج المؤسسة على بينة الواقع Les argument faits sur la structure

تكون الحجج المؤسَسَة على بينة الواقع متابعة ومتصلة بالحجج الشبه المنطقية؛ لأن الأحكام المسلم بها سواء أكانت وقائع أم حقائق أم فرضيات فإنها تستمد قوتها الحجاجية من الواقع الذي يذعن له المتلقي، ويقتنع به «هذا الصنف من الحجج لا يعتمد على المنطق وإنما على التجربة وعلى علاقات حاضرة بين الأشياء المكونة للعالم /.../ فالحجاج تفسير للأحداث والوقائع وتوضيح للعلاقات الرابطة بين عناصر الواقع، وأشيائه /.../ وأن الخطاب الحجاجي يكون أنجع وأقدر على الفعل في المتلقي والتأثير فيه»[1]

يقول "عبد الله صولة" موضحا البنى الواقعية: «الحجج التي تعتمد فيها بنى الواقع لا تصف الواقع وصفا موضوعيا إنما هي طريقة في عرض الآراء المتعلقة بهذا الواقع ويمكن أن تكون هذه الآراء وقائع "Les faits" أو حقائق "de vérités" أو افتراضيات»[2]

وهناك طريقتان للربط بين عناصر الواقع

- نربط بين مظاهر من مستوى واحد فنكون حينذاك أمام علاقات التعاقب (Liaisons de Succession)

[1] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ص: 214.

[2] عبد الله صولة: في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، ص: 49.

- نربط بين أطراف متفاوتة المستوى من قبل الجوهر، وتجلياته، فنصبح إزاء علاقات التعايش (Liaisons de coexistence)

ومما ورد في خطاب عرفات نجد علاقات التعاقب فقط، والتي يستند فيها على وجود رابط سببي يصل الظواهر والأحداث بأسبابها أو تاريخها، لذا فهي تقابل العلاقات السببية، ويمكن عدها بثلاثة أنواع:[1]

- حجاج قائم على البحث على أسباب ومسببات ظاهرة ما.
- حجاج يهدف إلى تحديد آثار ظاهرة أو حدث ما.
- حجاج يرمي إلى تقييم حدث ما بواسطة نتائجه.

ومن بين الحجج القائمة على علاقات التعاقب في خطاب "ياسر عرفات" ما يلي:

أ- الحجة النفعية L'argument pragmatique

عبر عنها "بيرلمان" بقوله «وتسمى حجة نفعية حجة النتائج التي تُقَيِّمُ فِعلا أو حدثا أو قاعدة أو أي شيء آخر تبعا لنتائجه الإيجابية أو السلبية»[2]، إنها حجة يحصل بها تقويم عمل ما لحدث ما، ولها تأثير مباشر في توجيه السلوك، وسنبين ذلك من خلال سياقة الأمثلة التالية:

نوع الحجة	نوع الحجة
النفعية	«ما زالت شعوب الهند الصينية تتعرض للعدوان، وتواجه المؤامرات /.../ وذلك ما زال الشعب الكمبودي البطل يواجه عدوانا عسكريا»
النفعية	«إنني بصفتي رئيسا بمنظمة التحرير، وقائدا لقوات الثورة الفلسطينية، أدعو اليهود فردا فردا، ليعيدوا النظر في طرف الهاوية الذي تقودهم إليه الصهيونية، والقيادات الإسرائيلية، وهي التي لم تقدم لهم غير النزيف الدموي الدائم، والاستمرار في خوض الحروب واستخدامهم كوقود دائم»

[1] شعبان أمقران: "الحجاج في البلاغة الجديدة عند شاييم بيرلمان"، ص: 227.

[2] الحسين بنو هاشم: نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، ص: 72

النفعية	«إننا ندعوكم للخروج إلى مجال الاختبار الرحب، بعيدا عن محاولات قيادتكم لغرس عقدة المساواة، وجعلها قدرا لكم، إنا نقدم لكم أكرم دعوة، أن نعيش معا في إطار السلام العادل»
النفعية	«إنني كرئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية وكقائد للثورة الفلسطينية أعلن هنا أننا لا نريد إراقة دم يهودية أو عربية /.../ إذ حل السلام العادل المبني على حقوق شعبنا وتطلعاته وأمانيه»
النفعية	«فلماذا لا أحلم يا سيادة الرئيس وآمل؟ والثورة هي صناعة تحقيق الأحلام، والآمال، فلنعمل معا على تحقيق الحلم /.../ لأعين هذا المناضل اليهودي ورفاقه مع هذا المناضل الواهب المسيحي وإخوانه، في ظل دولة واحدة ديمقراطية يعيش فيها المسيحي والمسلم في كنف المساواة والعدل والإخاء»

تقوم الحجة النفعية على أساس المقارنة من جهة، والتناظر من جهة أخرى، وسنحاول توضيح ذلك:

- الحروب في الهند الصينية / جنوبي فيتنام / الشعب الكمبودي ⬅ العدوان العسكري،

القضية — النتيجة

أهوال الحرب...الخ

- الحرب ضد فلسطين ⬅ اليهود وقود للصهيونية، النزيف الدموي الدائم، الاستمرار

القضية — النتيجة

في خوض الحروب

- المساواة وإقامة العدل ⬅ العيش معا بسلام وعدل + إيقاف إراقة الدم اليهودي

القضية — النتيجة (01) — النتيجة (02)

والعربي + العمل سويا على إقامة دولة واحدة ديمقراطية يعيش فيها المسلم واليهودي

النتيجة (03)

والمسيحي.

نلمح من خلال هذه القضايا كيف أقام الخطيب مقارنة بين عالمين: عالم يسوده الشتات، والحروب، وأهوالها، وعالم نقيض ذلك كله.

قد حاول بناء حجته النفعية "البراغماتية" تدريجيا؛ ليصل إلى تلفظه بكلمة "دولة"، هذه الكلمة كان يتلفظها الطرف الفلسطيني حتى يسود اللقاء بينه وبين خصمه بالفشل؛ لأنها توحي بتحقيق الانتصار، فهي كلمة مربكة تشكل تهديدا للمكان الصهيوني، وكانت تعوض بكلمة "الأراضي" إلا أن الخطيب مرر الكلمة بما تحمله من محمولات سياسية، متجاوزا دلالتها (إقليم + شعب + سيادة) إلى أبعد من ذلك فأمدها بالبعد الإنساني "دولة واحدة". هذا المعنى المضمر والمسكوت عنه في الخطاب (النفعي)، لقد نجح الخطيب ولأول مرة من إبقاء المستمعين قابعين في أماكنهم للإنصات إلى كلمة "دولة"، مستسيغينها على المستويين السمعي / الذهني.

«إننا ندعوكم للخروج...» لقد تخطي الفعل القولي، والمتلفظ به، إلى الإنجاز، والعمل والإنتاج، من خلال فعل الأمر، أما التناظر بين هذه القضايا فيمكن تلخيصه في عاملين اثنين:

العامل الفردي	العامل الجماعي
إنني كرئيس، بصفتي ...الخ	ندعوكم، قيادتكم...الخ

إن منظمة التحرير الفلسطينية هذا الفاعل الجديد يقترن بأدوار جديدة "ممثل الشعب الفلسطيني، ممثل وحيد، ممثل شرعي"، مع أن المنظمة تعد فاعلا سياسيا قانونيا، فإن الأدوار الدلالية التي تحمل مسؤولياتها "تمثيل إجماع المكونات السياسية، شرعية التمثيل" من هنا يكمن التناظر وبالتالي التطابق، العامل الفردي / الجماعي، وهيمنة الفاعل في علاقته بالعامل الجماعي.

ب- حجة التبديد (التبذير) L'argument de gaspillage

حجة تقوم على الاتصال، والتتابع، والمواظبة على العمل في المؤسسة، واستمرارية الالتزامات السابقة حتى لا تضيع الجهود «حجة تلعب دورا مهما في جعل المتلقي يذعن ويقتنع بمواصلة ما بدأ فيه إكماله ما دام أنه قطع شوطا في ذلك»[1]

[1] شعبان أمقران: "تقنيات الحجاج في البلاغة الجديدة عند شاييم بيرلمان"، ص: 228.

نوع الحجة	الحجة
التبديد	«إن قضية فلسطين تدخل كجزء هام بين القضايا العادلة /.../ يجب أن تتاح لجميع حركات التحرر المناضلة ضد العنصرية والاستعمار /.../ باسم هؤلاء المناضلين من أجل الحرية /.../ أدعوكم أن تعتبروا قضاياهم كما قضيتنا من همومكم واهتمامكم /.../ تكريس عالم جديد.»

يختصر "ياسر عرفات" في هذه الحجة التزامه واستمراريته في الدفاع عن قضية فلسطين وكل القضايا العادلة، وطالب أن تلتزم هيئة الأمم المتحدة بإعطاء الفرصة لهاته الدول، بإسماع صوتها من على منبرها، كما فعلت مع القضية الفلسطينية؛ لأنهم يتشاركون في هدف واحد وهو "الحرية"، هذا الهدف هو الذي أوصل القضية الفلسطينية إلى هذا المنبر العالمي "هيئة الأمم المتحدة"، وبالتالي فجهودهم (الشعب الفلسطيني) لم تذهب سدى، وإنه سيواصل نضاله من أجل تكريس عالم جديد، إن وقوفي أمام الهيئة لدليل قاطع على الجهد المبذول والعمل المتتابع والمتواصل، إضافة إلى قناعتهم بعدالة القضية والتزامهم بها، والنتيجة مجسدة أمام المتلقين (وقوف عرفات على المنبر لإلقائه الكلمة)، أليست هذه أقوى حجة، ودافعية؛ لمواصلة العمل؟ إنه في قوله "حركات التحرر المناضلة" نجد في كلمة "مناضلة" عدولا كميا بالزيادة فكان بإمكانه الإلقاء بكلمة "التحرير" ولكنه زاد عليها كلمة "المناضلة"، إن هذه الكلمة تحمل معنيين: النضال المسلح، والسياسي، مما أضفى لهذه الحركات التحريرية صفة شرعية، والدليل على ذلك مثوله أمام الهيئة العالم للأمم المتحدة واستبعاد صفة الأقلية المناهضة لإسرائيل إنها ثورة على مستوى الشعب، والحكومة الفلسطينية.

ج- حجة التجاوز L'argument du dépassement

هي تقنية يلجأ إليها المحاجج، ويعتمد فيها أسلوب التحذير، والتخويف من سلسلة التنازلات، التي تؤدي بالنتلقي في النهاية إلى نتيجة تؤول به إلى الاستسلام، كما أنها تعتمد «التحذير من انتشار ظاهرة ما بحجة أنها قد تصيب المجاور بالعدوى **L'argument de contagion**»[1]

ويكثر هذا النوع الحجاجي خاصة في القضايا الأخلاقية لأن التنازل فيها خطير

[1] محمد سالم محمد الأمين طلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص: 130.

نوع الحجة	الحجة
التجاوز	«وعندما حصل هرتزل على شهادة حسن السلوك استعماري استيطاني من رودس، قدمها للحكومة البريطانية ليتصدر منها إقرار التأييد والدعن مقابل أن يبني على أرض فلسطين قاعدة الاستعمار تؤمن مصالحه في أهم النقاط الاستراتيجية في الشرق الأوسط، وهكذا باشرت الحركة الصهيونية متحالفة مع الاستعمار العالمي غزوتها لبلادنا.»

إنه التنازل الأخلاقي الذي حذر منه "بيرلمان"، هذا التنازل تبعته ممارسات خطيرة وهي كالآتي:

قدم هرتزل شهادة حسن سلوك استعماري استيطاني ⬅ قضية (01)، هذه القضية اللاأخلاقية "وهي تملك /.../ وهي لا تستحق" كيف لها أت تعطي مالا تملك، ولمن لا يستحق فتوالت عنها قضية أخرى أكثر خطورة، وهي بناء قاعدة للاستعمار تؤمن مصالحها في الشرق الأوسط، وبذلك انتقلت العدوى من فلسطين إلى الدول العربية المحاذية لها، هذا التحذير كان واضحا في خطابه عندما ربط بين الحركة الصهيونية والاستعمار العالمي، فالحركة باشرت استيطانها، واستعمارها، مدعمة بقوى العالم، وهنا يكمن الإشكال الضمني الذي حاول "عرفات" التلميح له، وهو أن هذه التجاوزات نتجت عن دم من الدول العظمى (بريطانيا + أمريكا)؛ ليعمم الظاهرة، ويحذر من تبعاتها، فكل الدول النامية والفقيرة معرضة لما تعرضت له فلسطين، وهذا التحذير مستشف من خطابه منذ الوهلة الأولى.

3-الحجج المؤسِسَة لبنية الواقع:

ترتبط الحجج المؤسِسَة لبنية الواقع بالواقع، لكنها لا تتأسس عليه، وإنما هي التي تؤسس هذا الواقع، وتبنيه من خلال محاكاة ما خفي من علاقات بين الأشياء محاولة إجلاء غير المتوقع في هذه العلاقات، فتقسم الصلات بين عناصرها ومكوناتها «إن الفكر الفلسفي الذي لا يمكن التحقق منه تجريبيا يجري في حجاج يسعى في الدفع إلى التسليم ببعض التناسبات والاستعارات بوصفها العنصر المركزي لرؤية ما للعالم»[1]

[1] الحسين بنو هاشم: نظرية الحجاج عند بيرلمان، ص: 95.

هذا النوع من الحجج يقوم على المثال الشاهد، القدوة، والقدوة المضادة، الاستعارة، ويمكن أن نختصر وظيفة كل نوع بقول "بيرلمان" «ففي حال الشاهد ستسمح بالتعميم، وفي حال المثال ستسمح بدعم قاعدة قائمة سالفا، وفي حالة القدوة ستدعو إلى الاقتداء»[1]

ثانيا-الحجج القائمة على الوصل Procédés de dissociation

لا يدل ظاهر الشيء بالضرورة على حقيقته، رغم ارتباطهما الوثيق (الظاهر / الحقيق)؛ ليصبح محل شك، كونه صادق في تمثيله، وتعبيره عن الواقع، أم أنه مجرد وهم، وخداع، وتضليل، وصورة مزيفة عن الواقع، أو الحقيقة «يعمد إلى الكل، فيحدث فيه فصلا بين حقيقته وظاهره»[2]، لذا وجب كسر هذه الثنائية (الظاهر / الحقيقي)، وهو ما عبر عنه "بيرلمان" الحد1 / الحد2

الحد1 (الظاهر): تضليل وتزييف، ومظاهر خادعة بعيدة عن الاقع.

الحد2 (الحقيقة): أي إسقاط أحد الحدين وإبقاء الآخر، وهو يمثل القاعدة، والأساس، والجوهر، والذي يحكم من خلاله على صحة الحد2، فترفع قيمته، أو تحط منه، ومن أمثلة الثنائيات: عالم المادة / عالم المثل – ظاهر / حقيقي – معرفة حسية / معرفة عقلية – جسم / روح – تحول / ثبات – كثرة / وحدة – إنساني / إلهي – غاية / وسيلة – نتيجة / حدث – فعل / شخص – عرض / جوهر – مناسبة / سبب – نسبي / مطلق – موضوعي / تعددية / وحدانية – عادي / معيار - فردي / كوني – خاص / عام – نظرية / تطبيق – لغة / فكر لفظ / معنى.

فالعصا مثلا عندما تلقى في الماء تظهر ملتوية حين ننظر إليها، ومستقيمة حين نلمسها؛ فإنها لا يمكن أن تمثل الواقع كما هو؛ لأنه محكوم بمبدأ التناقض، وبالتالي وجب تمييز الظاهر الذي يطبق الواقع عن الخادعة، فتارة هو تعبير عن الواقع، وتارة مجرد مظهر خادع ومصدر تضليل، لذا فالتمييز يتم اعتمادا على ثنائية ظاهر / واقع.

---

[1] فرانسوا مورو: البلاغة مدخل لدراسة الصور البيانية، تر: محمد الولي، وعائشة جرير، دار الخطابي، ط01، 1989م، ص: 38.

[2] شعبان أمقران: «تقنيات الحجاج في البلاغة الجديدة عند شاييم بيرلمان»، ص: 232.

وتكمن أهميتها في الحجاج؛ لأن الوضع الأول يقدم كمادة انطلاق للفصل /.../ إن عملية الفصل إلى حد1، وحد2، ترفع من قيمة المظاهر الموافقة للحد2، وتحفز المظاهر التي تتعارض معه. والتعبير عن ثنائيات الحد1 / الحد2 يكون وفق أساليب مختلفة، يتجلى فيها الفصل بين الحدين، ومن أمثلة ذلك:[1]

- استخدام عبارات وسوابق (Préfixes) معينة مثل (شبه) كقولنا شبه طبي، شبه عسكري.
- (اللا)" كقولنا: اللاأخلاقي.
- بعض الصفات مثل: المزعوم، الموهوم، كقولنا: الهيكل المزعوم، فهي كلها تشير إلى الحد1، في حين الحد2 يعبر عنه بعبارات دقيقة.

ثالثا-الروابط الرمزية Les liaisons symboliques

الرمز قوة تأثيرية؛ فعلاقة الرمز بما يرمز إليه مرهونة بمقام استخدامه؛ أي بالفئة، والبيئة الاجتماعية، والثقافية، والدينية، التي أنشأته؛ فتأثيره العاطفي، والذهني مقتصر على الجماعة التي اتفقت على دلالته دون غيرها /.../ لأن الرموز تتغير بتغير الأوساط الاجتماعية، والبنيات الثقافية.[2]

إن العلاقة القائمة بين الرابط الرمزي وروابط التعايش هي «علاقة قائمة على التلازم بين أطرافها، وهذا التلازم يكون مبنيا على علاقتي المشاركة والتبرير، وليس مثلما هو الحال بالنسبة للعلامة»[3]

إنّ جلّ الحجج التي اعتمدها "ياسر عرفات" في خطابه تعمد على المشاركة، والتبرير، وسنعمل على شرح ذلك:

---

[1] الحسين بنو هاشم: نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، ص: 95.

[2] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي، ص: 236.

[3] محمد سالم محمد الأمين طلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص: 131.

نوع الحجة	الحجة
الروابط الرمزية	*الهند الصينية *جنوب فيتنام *الشعب الكمبودي *القضية الكورية *المشكلة القبرصية. *مؤتمر البحار *مؤتمر السكان *مؤتمر التغذية *مؤتمر المواد الأولية والتنمية. *أبراهام لنكولن *وصايا ويلسون الأربع عشر *ردوس *هرتزل. *شجرة الزيتون *شجرة البرتقال *الشجرة الفلسطينية. *أهود أديف *المطران كبوجي *علامة النصر *أرض السلام. *عصن الزيتون * الغصن الأخضر. *أسطورة سيدنا سليمان.

إنه وبتذكره للدول التي تعاني الاضطهاد، والاستيطان (الهند الصينية، جنوب فيتنام الشعب الكمبودي، القضية الكورية، المشكلة القبرصية) كلها ما زالت تتخبط بأهوال الحروب، إنها رمز موازي لقضية فلسطين، وبالتالي فالقضايا العادلة في العالم، والمناضلة لطلب حريتها عديدة؛ ليتخذها "عرفات" رمزا، فيضع بذلك المتلقي في الصورة القائم عليها العالم، لذا وجب التشارك في إيجاد حلول لهذه المشاكل المتزايدة، إضافة إلى أنها المطلب الأساسي لفلسطين، وقس عليه بقية الدول، ونظرا لأهميتها كان أوّل مطلب لـ "عرفات" في خطابه، هذه الصراعات السياسية على الأرض والحقوق تبعتها صراعات اقتصادية ليستشهد ببعض المؤتمرات (مؤتمر البحار، مؤتمر السكان، مؤتمر التغذية، مؤتمر المواد الأولية والتنمية)، هذه المؤتمرات، وما يحدث قبلها من مظاهرات وأثناء مداولاتها لدليل على الغضب العالمي، والمعاناة الاقتصادية، والفجوة المتباينة بين العالمين (الشمال والجنوب)، فالقوى الاقتصادية تعدّ على الأصابع مقارنة ببقية الدول الفقيرة أو النامية، أنها نقطة يتشارك فيها معظم المتلقين، وبالتالي فهي قضية هامة، لذا كان الخطاب محملا برموز لبلدان تطالب بالعدالة السياسية، وقام بدعمها برموز اقتصادية من خلال ذكره لبعض المؤتمرات المناشدة بالعدالة الاقتصادية.

1- الشخصيات: من خلال قراءتنا لخطاب "عرفات" نلمح وللوهلة الأولى أنه جعل من هذه الشخصيات السياسية، والثورية، رموزا يستشهد بها إما داعمة لخطابه وأحيانا داحضة للآخر (الصهيوني) لذا وردت الشخصيات مقسمة إلى ما يلي:

شخصيات مناشدة للعدالة والسلام شخصيات ≠ مناهضة للعدالة والسلام

أبراهام	ردوس
ويلسون	هرتزل
أهود أديف	
المطران كمبورجي	

إن حضور الأعلام حضورا واضحا في الخطاب حاملا «تداعيات معقدة تربطها بقصص تاريخية، أو أسطورية، وتشير قليلا أو كثيرا إلى أبطال أو أماكن تنتمي إلى ثقافات متباعدة في الزمن والمكان»، من خلال مقولة "محمد مفتاح" حول توظيف الأعلام في الخطاب يتجلى لنا أن هذا التوظيف لـ "عرفات" ولهذه الرموز بالذات لدليل على قصدية الاختيار، ورمزيته في الآن نفسه.

- أبراهام لينكولن = أعلن أن جميع العباد أحرار، فاغتيل عام (1865م)، على يد يهودي.[1]
- ويلسون = بعد الحرب قدم المبادئ الأربعة عشر، ونص المبدأ الأخير على تشكيل هيئة الأمم لتحقيق السلام لعالمي.[2]
- المطران كمبورجي = تنبأ "ياسر عرفات" بسجنه بقوله: «سيلقى هذا الأمير الراهب المصير ذاته في غياهب السجون» وكان ذلك في العام نفسه الذي ألقى فيه الخطاب (1974م) وحكم عليه بـ 12 عاما، وأفرج عنه بعد (04) سنوات بواسطة من الفاتكان وأبعد عن فلسطين عام (1978م).[3]

لقد شكل "عرفات" من خلال هذه الرموز فاعلية حجاجية والتي تروم الخطاب تثبيتها والاقتناع بها، هذه الشخصيات هي مواضع مشتركة فهي تشكل علاقة بين المنطق والواقع، وبالتالي تؤسس لاتخاذ الصلة بين القضية العامة (السلام العالمي)، والقضايا الخاصة (السلام بفلسطين).

---

[1] إياد محي الدين: الاغتيالات السياسية في العصر الحديث، عربا وعجما حسب الحروف الأبجدية، أمين زهران للنشر، (د، ت)، ط01، ص: 34.

[2] من هو وودرو – ويلسون www.arageek.com

[3] هيلاريون كابوشي https://ar-m.wikipedia.org

2- رمزية الأشجار: (شجرة الزيتون، شجرة البرتقال، الشجرة الفلسطينية)

إن الأشجار ورمزيتها في الخطاب لها دلالة على ارتباط الشعب الفلسطيني بأرضه، فهي من مقومات وجوده الإنساني، فارتبط الشعب الفلسطيني بالزيتون وبالشجر، إنها شعر المحبة، والسلام، وقصة الحمامة مع نوح عليه السلام عائدة وهي تحمل غصن الزيتون للدلالة على الأمن والأمان لرمزية تاريخية يشهد لها التاريخ البشري لكن المفارقة حدثت لهذا الرمز (غصن الزيتون) ليدل على:

الأرض المغتصبة	≠	الحياة والمقاومة المستمرة
⬇		⬇
لقد وصل إرهابهم إلى الحقد، حتى على شجرة الزيتون، حتى على شجرة البرتقال /.../ والتي اعتبروها علما شامخا، يذكرهم بسكان البلاد الأصليين.		جئتكم يا سيادة الرئيس بغصن الزيتون /.../ فلا تسقطوا الغصن الأخضر من يدي

إن الشجرة أصبحت هاجسا للصهيوني، من خلال رائحتها، ولونها، ووهجها، إنها الأصل والدم، الذي يجري في عروق الفلسطيني، فهي تتشارك معهم الاغتصاب، والنزيف. إن الرابط الحجاجي "حتى" يستعمل كأداة عاطفة[1] بين حجتين لهما نفس التوجه الحجاجي، والحجج فيها تكون متساوقة، بمعنى أنها تخدم نتيجة واحدة.[2]

نستنتج أن الوصل غايته توحيد العناصر وتقويمها فما يصدق على المقدمة يصدق على النتائج أما الفصل فيعتبر ميزة أساسية للطرائق الإنفصالية بين المفاهيم الموحدة والملتحمة فيما بينها وهذا لغاية حجاجية حيث يتم كسر وحدة المفهوم بالفصل بين عناصره.

[1] سعيدة على زيغد: تحليل الخطاب الحواري في نظرية النحو الوظيفي، دار مجدلاوي، دار عمان، الأردن، ط01، 2015م، ص: 184.

[2] أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص، ص: 71، 72.

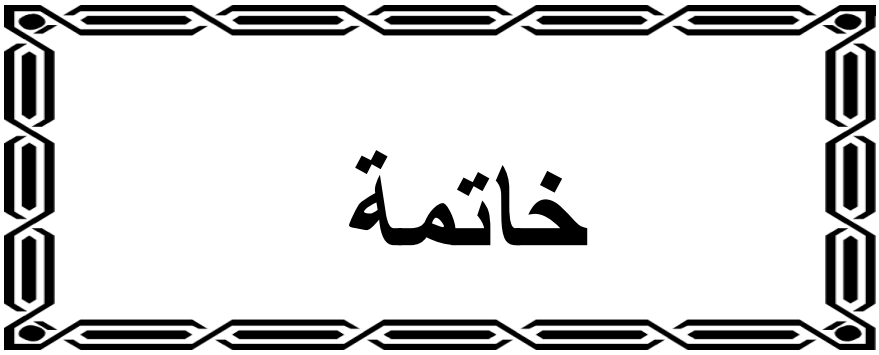
خاتمة

خاتمة

انتهى البحث إلى جملة من الاستنتاجات الآتية:

1. الحجاج مفهوم مزدوج المعنى، ويرجع ذلك إلى اعتبارين أساسيين، لا يجتمعان في البرهان المنطقي، وهما اعتبار الواقع، واعتبار القيمة، أو ما عبرنا عنه بالحقيقة والمجاز.
2. الحجاج يستدعي الدخول في علاقة استدلالية، وفي كثير من الأحيان الدخول في علاقة مجازية؛ ليصبح أقرب إلى الخطابة منه إلى المنطق.
3. غنى اللغة الطبيعية ومرونتها جعله ملتبسا، وغامضا، ومتعدد المعاني.
4. الحقائق تتغير على حساب مقتضيات الحاجة، والمقام، وهذا ما كان جليا في خطاب "ياسر عرفات"، أما الوقائع فهي متعددة المعاني.
5. يستهدف "عرفات" الفعل لدى المخاطب، ودمجه في العملية الحجاجية، وإقناعه، وكسب تعاطفه.
6. إن الخاصية التأويلية للأشياء والكلمات يعقدها موضوعيتها، وبالتالي تتخذ الكلمات في ذهن المتلقي، والباث وضعا مخالفا لما هي عليه.
7. استند خطاب "عرفات" على القيم المجردة، والملموسة، وهذه الأخيرة بدورها تستند على التراتبية، والتي تعتبر لدى "بيرلمان" الأهم من القيمة.
8. استوجب على المخاطِب أن يتوفر على التقنيات الحجاجية ومعرفة كيفية استعمال كل حجة منها، بالشكل المنسجم، مع القضية المطروحة؛ كونها لا تفسح المجال للجدل، بل إنها عملية تفكير تصاعدية، تنتقل من فكرة إلى أخرى، حتى يصل الى المقولات.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نوصي الباحثين بجملة من التوصيات كون الموضوع كغيره من المواضع ينفتح على أسئلة معرفية تؤسس لبحوث أخرى هي كالآتي:

1. التنبيه لخصوصية الدرس البلاغي العربي، وإعادة قراءته وفق المستجدات الحديثة كنظريات التواصل، ومعطيات التداولية، ونظريات الخطاب ...الخ، باحثة في ذلك عما وراء النص، وبالتالي إنصاف البلاغية العربية، بحثا، وقراءة جديدة، لمنجزها وإدراك كنهها.

2. فحص البلاغة العربية ضمن الأطر المرجعية، ويتم ذلك بتكامل الممارسات التنظيرية منها التطبيقية.
3. القراءة الجديدة التي تسعى إليها هي قراءة منصفة للدرس البلاغي وذلك بالنظر إلى الظاهرة في ضوء عصرها، وإن تم غير ذلك فهذا يعني مصادرتها، في ممارسة حقها من واقع الإبداع السابق عليها والمتزامن لها.
4. البلاغة العربية بلاغة حجاجية؛ لكنها تحتاج إلى رصد ظواهرها وربطها بسياقاتها الفكرية والفلسفية والدينية والتاريخية.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم

المصادر:

1. خطاب ياسر عرفات، مؤسسة ياسر عرفات، www.yaf.ps

المراجع:

أولا–الكتب العربية:

1. ابن وهب الكاتب: البرهان في وجوه البيان، تح: أحمد مطلوب، وخديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، العراق، ط01، 1967م.
2. أبو البقاء الكفوي: الكليات، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط01، 1992م.
3. أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، المغرب، ط01، 2006م.
4. أرسطو طاليس: فن الخطابة، تح: عبد الرحمان بدوي، دار القلم، بيروت، (د، ط)، (د، ت).
5. اندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، A. G، ترجمة: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط01، 2001م.
6. أوزوالد ديكرو، وجان ماري شايفر: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تر: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط02، 2007م
7. إياد محي الدين: الاغتيالات السياسية في العصر الحديث، عربا وعجما حسب الحروف الأبجدية، أمين زهران للنشر، (د، ط)، (د، ت).
8. بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط02، (د، ت).
9. الجاحظ: البيان والتبين، تح: درويش جويدي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ط01، 2003م.

10. الجاحظ: الحيوان، تح: عبد السلام هارون، الناشر محمد الباجي الحلبي، ط02، 1965م
11. حسن مصدق: هابرماس ومدرسة فرانكفورت النظرية النقدية التواصلية، تق: برهان عليون، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط01، 2005م.
12. الحسين بنو هاشم: نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط01، 2014م.
13. حمادي صمود: من تجليات الخطاب البلاغي، دار قرطاج، تونس، ط01، 1999م
14. سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرى بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، ط01، 2008م.
15. سراب الرحموني: الحجاج في بنية كتاب طوق الحمامة في الألفة والإلاف لابن حازم الأندلسي، دار سحر المعرفة، تونس، (د، ط)، 2013م.
16. سعيدة على زيغد: تحليل الخطاب الحواري في نظرية النحو الوظيفي، دار مجدلاوي، دار عمان، الأردن، ط01، 2015م.
17. السكاكي: مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط02، 1987م.
18. شكري المبخوت: الاستدلال البلاغي، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان. (د، ط)، (د، ت).
19. صابر الحباشة: التداولية والحجاج مداخل ونصوص، تدقيق لغوي: ممتاز الملوحي، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، ط01، 2008م.
20. صلاح فضل: "بلاغة الخطاب وعلم النص"، عالم المعرفة، ع164، أغسطس 1992م.
21. الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، الدار التونسية، (د، ط)، (د، ت).
22. طه عبد الرحمان: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الرباط، المغرب، ط01، 1998م.
23. عباس حشاني: خطاب الحجاج والتداولية دراسة في نتاج ابن باديس الأدبية، عالم الكتب الحديث، ط: 01، 2014م.
24. عبد الرحمان بدوي: ربيع الفكر اليوناني، وكالة المطبوعات، دار القلم، بيروت، لبنان، ط01، 1979م.

25. عبد اللطيف عبد الله: بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان، ط01، 2013م.
26. عبد الله صولة: ألحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار المعرفة، منوبة، تونس، ط01، 2001م.
27. عبد الله صولة: في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات دار، مسيكيلياني، تونس، 2011م.

ثالثا–المعاجم والقواميس:

1. ابن فارس: معجم المقاييس في اللغة، تح: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط 01، (د، ت)
2. ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د، ط)، (د، ت)
3. العسكري أبو هلال: الفروق اللغوية، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، ط 01 (د، ت).

ثانيا–الكتب الأجنبية:

1. Ch.perlman: philosophie, rhétorique, lieux commuas, extrait du bulletin de l'académie royale de Belgique (classe des lettres et des sciences morales et politiques) 5 série – TOM LVIII, imprimé en Belgique 1972.

رابعا–المجلات والدوريات:

1. بلقاسم دفة: «استراتيجية الخطاب الحجاجي، دراسة تداولية في الإرسالية»، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، الجزائر، ع 10، 2014م.
2. جلول مقورة: «اللغة بين الوظيفة التداولية والضرورة التأثيلية، هابرماس وطه عبد الرحمان من التداولية إلى التداولية المضاعفة»، جامعة المسيلة، الجزائر، (د، ط).

3. حمادي صمود: «مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح» ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، سلسلة آداب، جامعة الآداب والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، منوبة، تونس.
4. حمدان رمضان: الإرهاب الدولي وتداعياته على الأمن والسلام العالمي، دراسة تحليلية من منظور اجتماعي، كلية الآداب، قسم علم الاجتماع، جامعة الموصل، مجلة الأبحاث، كلية العربية الأساسية، ع01، مج11، 2011م.
5. شعبان أمقران: «تقنيات الحجاج في البلاغة الجديدة عند شاييم بيرلمان» إشراف: حفيظة رواينية، مجلة التعليمية، ع15، مج05، سبتمبر 2018م، جامعة باجي مختار عنابة، الجزائر.
6. عبد الفتاح القليقلي: الرئيس عرفات في البيت الأبيض، الحقوق الوطنية والشرعية والدولية، 2010/12/23 المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين، جريدة حق العودة، ع: 41.
7. محمد سالم ولد محمد الأمين: «مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة»، مجلة فكر ونقد، الكويت، ع03، مج28، يناير، مارس 2000م
8. مدقن هاجر: « مصطلحات حجاجية»، مجلة مقاليد، ع01، جوان 2011م.
9. ياسمينة عبد السلام: «نظرية الأفعال الكلامية في ظل جهود أوستن» مجلة مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، ع10، 2014م، جامعة بسكرة، الجزائر.

خامسا-الرسائل الجامعية:

1. نور الدين بوزناشة: الحجاج بين الدرس البلاغي الغربي والدرس العربي اللساني، دراسة تقابلية مقارنة، المشرف: صلاح الدين زروال، كلية الآداب واللغات، قسم الأدب العربي، سطيف، الجزائر، 2015م، 2016م (أطروحة دكتوراه).

سادسا-المواقع:

1. www.alquds
2. https://ar-m.wikipedia.org

3. www.ahewar.org
4. www.ahewar.org
5. www.amadps/ar/detaails
6. www.arageek.com
7. www.badil.org
8. www.badil.org
9. www.tanwer.org
10. www.wafa.com
11. www.wattan.tv

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

المحتويات

مقدمة.....أ – د

المدخل: الحجاج المفاهيم والتقاطعات.....ه 1

أولا: بين الحجاج والتداولية..... 2

ثانيا: الحجاج والخطاب السياسي..... 4

الفصل الأول: الحجاج والخطاب السياسي..... 7

أولا: مفهوم الحجاج..... 8

1.الحجاج في المعجم:..... 8

2.الحجاج اصطلاحا:..... 10

ثانيا: الحجاج عند الغرب..... 12

1.الحجاج والبلاغة في الحوار الأفلاطوني مع السفسطائيين:..... 12

2.التنظير للحجاج عند أرسطو:..... 15

ثالثا: الحجاج في ضوء البلاغة العربية..... 18

1.الجاحظ: الاتجاه الأدبي الخطابي..... 18

2.ابن وهب: الاتجاه المنطقي الفقهي..... 19

3.السكاكي: الاتجاه البلاغي المنطقي..... 21

الفصل الثاني: الحجاج ومنطلقاته..... 28

أولا: هوية الخطاب..... 29

ثانيا: منطلقات الحجاج عند بيرلمان وتيتكا..... 32

1.الوقائع Les faits:..... 32

أ.هيئة الأمم المتحدة:..... 33

فهرس الموضوعات

ب.الشخصيات التاريخية:.....34

ج.الفجوة الاقتصادية:.....35

د.الإرهاب:.....36

هـ. العنصرية:.....37

2.الحقائق Réalités.....40

أ-حقائق دينية (الديانات السماوية) وحقائق تاريخية.....40

ب-حقائق وجودية "الصراع الديمغرافي".....44

3.القيم les valeurs.....44

ثالثا: المعطيات التي يمكن اعتبارها حجاجا.....48

1.وسيلة الحضور La Présence:.....48

2.اختيار النعوت أو الصفات Le choix des qualification.....50

الفصل الثالث: الحجاج وتقنياته.....53

أولا-الحجج القائمة على الوصل.....54

1-الحجج شبه المنطقية:.....54

أ-التناقض والتعارض: Contradiction et incompatibilité.....55

ب-التعريف:.....58

ج-قاعدة العدل والتبادلية: La régle de justice et la réciprocité.....60

د-حجة التعدية:.....63

هـ-حجة التقسيم L'argument d'inclusion.....66

و-حجة المقارنة L'argument comparaison.....67

فهرس الموضوعات

2-الحجج المؤسسة على بينة الواقع Les argument faits sur la structure.....69

أ-الحجة النفعية L'argument pragmatique.....70

ب-حجة التبديد (التبذير) L'argument de gaspillage.....72

ج- حجة التجاوز L'argument du dépassement.....73

3-الحجج المؤسِسَة لبنية الواقع:.....74

ثانيا-الحجج القائمة على الوصل Procédés de dissociation.....75

1- الشخصيات:.....77

2- رمزية الأشجار:.....79

خاتمة.....80

المصادر والمراجع.....83

فهرس الموضوعات.....89

الملحق

خطاب ياسر عرفات أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في 1974/11/13

سيدي الرئيس:

أشكر لكم دعوتكم منظمة التحرير الفلسطينية؛ لتشارك في هذه الدورة من دورات الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة، وأشكر كل الأعضاء المحترمين في هيئة الأمم المتحدة، الذين أسهموا في تقرير إدراج قضية فلسطين على جدول أعمال هذه الجمعية، وفي إصدار قرار بدعوتنا لعرض قضية فلسطين.

إنها لمناسبة هامة، أن يعود بحث قضية فلسطين إلى هيئة الأمم المتحدة، وأننا نعتبر هذه الخطوة انتصاراً للمنظمة الدولية، كما هو انتصار لقضية شعبنا؛ ولأن ذلك يشكل مؤشراً جديداً على أن هيئة الأمم اليوم ليست هيئة الأمس؛ ذلك لأن عالم اليوم ليس هو عالم الأمس.

فقد أصبحت هيئة الأمم اليوم تمثل 138 دولة، وأصبحت تعكس بصورة نسبية أوضح، إرادة المجموعة الدولية، ومن ثم فقد أصبحت أكثر قدرة على تطبيق ميثاقها ومبادئ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وأكثر قدرة على نصرة قضايا العدل والسلام.

وهذا ما بدأ يلمسه شعبنا وتلمسه شعوب آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية، الأمر الذي أخذ يعلي مكانة هذه المنظمة الدولية في عيون شعبنا وعيون بقية الشعوب، ويزيد من الآمال التي تعلقها شعوب العالم على مساهمة هيئة الأمم المتحدة، في نصرة قضايا السلم والعدل والحرية والاستقلال، وتشييد عالم خالٍ من الاستعمار والإمبريالية والاستعمار الجديد والعنصرية بكافة أشكالها، بما فيها الصهيونية.

سيدي الرئيس:

إننا نعيش في عالم يطمح للسلام وللعدل وللمساواة وللحرية، يطمح إلى أن يرى الأمم المظلومة الرازحة تحت الاستعمار والاضطهاد العنصري وهي تمارس حريتها وحقها في تقرير المصير، يطمح إلى أن يرى العلاقات الدولية بين الدول كافة، تقوم على أساس المساواة والتعايش السلمي، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية، وتأمين السيادة الوطنية والاستقلال، على أساس العدل والتكافؤ والمنافع المتبادلة، يطمح لان تصب الجهود الإنسانية على مكافحة الفقر والمجاعة والأمراض والكوارث الطبيعية، وعلى تطوير القدرات الإنتاجية والعلمية والتقنية

للبشرية، لزيادة الثروات وتضييق الفروق بين الدول النامية والدول المتطورة، ولكن ذلك كله يصطدم بواقع عالمي ما زال يسوده الاضطراب والظلم والاضطهاد العنصري والاستغلال، وما زال مهدداً بالكوارث الاقتصادية والحروب والأزمات.

وما زالت شعوب كثيرة منها زمبابوي وناميبيا وجنوب إفريقيا وفلسطين وغيرها ضحية للعدوان والقهر والبطش، وتشهد تلك المناطق من العالم صراعاً مسلحاً فرضته قوى الاستعمار والتمييز العنصري ظلماً وإرهاباً، فاضطرت الشعوب المضطهدة إلى التصدي له، وكان تصديها عادلاً ومشروعاً.

لابد يا حضرة الرئيس من أن تساهم المجموعة الدولية في دعم هذه الشعوب ومساعدتها على انتصار قضاياها العادلة، ونيلها حقها في تقرير المصير.

وما زالت شعوب الهند الصينية تتعرض للعدوان، وتواجه المؤامرات؛ لمنعها من إحلال السلام على أرضها وتحقيق أهدافها، فإذا كانت شعوب العالم قد رحبت بالاتفاق في لاوس، وباتفاقية السلام في جنوبي فيتنام، إلا أن السلام في جنوب فيتنام ما زال بعيداً بعيداً عن أن يكون سلاماً حقيقياً، لأن القوى التي شنت العدوان تصر على بقاء فيتنام في الاضطراب والحرب، وكذلك ما زال الشعب الكمبودي البطل يواجه عدواناً عسكرياً.

لابد يا حضرة الرئيس من أن تساهم المجموعة الدولية في دعم هذه الشعوب وشجب المعتدين ومعكري السلام، وما زالت القضية الكورية بعيدة عن أن تحل حلاً عادلاً وسلمياً، رغم الموقف الايجابي السلمي الذي عبرت عنه المقترحات المقدمة من جمهورية كوريا الديمقراطية.

ولقد عشنا قبل شهور تفجر المشكلة القبرصية، وشاركنا في تحمل همومها مع شعوب العالم اجمع، ولا بد لهيئة الأمم المتحدة أن تتابع جهودها للتوصل إلى حل عادل للمشكلة، يجنب الشعب القبرصي أهوال الحرب ويحفظ استقلاله، ولا شك في أن المشكلة القبرصية تدخل في هذا الإطار من هموم بلدان الشرق الأوسط والبحر الأبيض المتوسط .

وما زالت دول في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية تواجه اعتداءات ضارية على نضالها الذي يهدف إلى تغير النظام الاقتصادي العالمي الحالي، بنظام اقتصادي عالمي جديد أكثر معقولية ومنطقية، وقد عبرت هذه البلدان عن ذلك في مؤتمر "المواد الأولية والتنمية"، حيث

لابد أن يوضع حد لعمليات النهب والاستغلال وامتصاص ثروات الشعوب الفقيرة، وعرقلة جهودها من أجل التنمية، والسيطرة على ثرواتها، ورفع الحيف عن أسعار موادها الأولية.

وكذلك، فإن هذه الدول ما زالت تواجه عراقيل أمام مطالبها العادلة المعبرة عنها في مؤتمر البحار في كراكاس، ومؤتمر السكان، ومؤتمر التغذية، ولابد للهيئة الدولية من أن تقف بحزم إلى جانب النضال من أجل إحداث تغيرات جذرية في النظام الاقتصادي العالمي؛ لأن ذلك وحده يتيح للشعوب المتخلفة إمكانية التقدم بسرعة، ولابد لهذه الهيئة من أن تقف بحزم ضد القوى التي تحاول تحميل مسؤولية التضخم المالي على كاهل البلدان النامية، وخاصة البلدان المنتجة للبترول، وأن تشجب التهديدات التي تتعرض لها هذه البلدان بسبب مطالبها العادلة.

سيدي الرئيس:

ما زال السباق على التسلح على أشده في العالم، الأمر الذي يهدد العالم بضياع ثروته وتبديد جهوده على هذا السباق، فضلاً عن إبقائه في خطر انفجارات مسلحة خطيرة، إن الحد من السباق على التسلح، وصولاً إلى تدمير الأسلحة النووية وتخصيص ما يصرف من مبالغ طائلة على مجالات التقنيات العسكرية في ميدان تقدم العلوم وزيادة الإنتاج وتحقيق الرفاه للعالم، وهذا ما تتوقع الشعوب على أن تعمل هيئتكم (هيئة الأمم المتحدة) باتجاهه .

سيدي الرئيس:

ما زال الاضطراب على أشده في منطقتنا، فالكيان الصهيوني مثبت بالأراضي العربية التي احتلها، ويتابع عدوانه علينا، بجانب استعداداته العسكرية المحمومة بشن حرب عدوانية جديدة ستكون الخامسة في سلسلة حروبه العدوانية، ولنا أن نتحسب مع ما يصدر من إشارات عنه من أن تكون حرباً نووية تحمل الفناء والدمار.

سيدي الرئيس:

إن العالم بحاجة إلى أقصى الجهود من أجل تحقيق مطامحه في السلم والحرية والعدل والمساواة والتنمية وفي مكافحة الاستعمار والامبريالية، والاستعمار الجديد والعنصرية بكافة أشكالها بما فيها الصهيونية، لأن هذا هو الطريق الوحيد لتحقيق آمال الشعوب كافة، بما في ذلك شعوب الدول التي تعارض هذا الطريق، أنه طريق لتكريس مبادئ ميثاق هيئة الأمم

المتحدة والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، أما بقاء الوضع الحالي، فلن يفعل أكثر من أن يبقى العالم معرضاً لأخطر الصراعات المسلحة، للكوارث الاقتصادية والإنسانية والطبيعية.

سيدي الرئيس:

رغم هذا الوضع المتأزم الذي يسود العالم، ورغم ما في عالمنا من قوى ظلام وتأخر، فإن عالمنا اليوم يعيش أياماً مجيدة، أنه يشهد انهيار العالم القديم، عالم الاستعمار والامبريالية، والاستعمار الجديد والعنصرية بكافة أشكالها وأبرزها الصهيونية، ويشهد الاتجاه التاريخي العظيم لشعوب العالم نحو انبثاق عالم جديد تنتصر فيه القضايا العادلة، وأننا واثقون من انتصار هذه القضايا.

سيدي الرئيس:

إن قضية فلسطين تدخل كجزء هام بين القضايا العادلة التي تناضل في سبيلها الشعوب التي تعاني الاستعمار الاضطهاد، وإذا كانت الفرصة قد أُتيحت لي أن أعرضها أمامكم، فإنني لن أنسى أن مثل هذه الفرصة يجب أن تتاح لجميع حركات التحرر المناضلة ضد العنصرية والاستعمار؛ ولهذا، فإنني باسم هؤلاء المناضلين من أجل الحرية وحق الشعوب في تقرير مصيرها، أدعوكم أن تعيروا قضاياهم- كما قضيتنا، من همومكم واهتمامكم- الأولوية ذاتها مما يشكل مرتكزاً أساسياً لحماية السلم في العالم، وتكريس عالم جديد تعيش الشعوب في ظلاله بعيداً عن الاضطهاد والظلم والخوف والاستغلال، ولهذا، فإنني سأعرض قضيتنا ضمن هذا الإطار وفي سبيل هذا الهدف.

وإننا حين نتكلم من على هذا المنبر الدولي، فإن ذلك تعبير في حد ذاته عن إيماننا بالنضال السياسي والدبلوماسي، مكملاً معززاً لنضالنا المسلح، وتعبير عن تقديرنا للدور الذي يمكن للأُمم المتحدة أن تقوم به في حل المشكلات العالمية، بعد أن تغيرت بنيتها في صالح أماني وآمال الشعوب، وفي حل مشكلتنا التي تتحمل فيها المؤسسة الدولية مسئولية خاصة.

إن شعبنا يتكلم وهو يتطلع إلى المستقبل أكثر مما هو مقيد بمآسي الماضي وأغلال الحاضر، وإذا كنا -ونحن نتحدث عن الحاضر- نعود إلى الماضي؛ فلأننا نريد أن نوضح بداية الطريق الذي نشقه إلى المستقبل المشرق مع كل شعوب العالم وحركات التحرير. وإذا كنا نعود إلى جذور قضيتنا؛ فلأنه ما زال بين الحاضرين هنا من يحتل بيوتنا، ويرتع في حقولنا ويقطف ثمار أشجارنا ويدعي أننا أشباح لا وجود لها، ولا تراث ولا مستقبل، وإن هنالك من كان

يتصور– وإلى وقت قريب، وربما حتى الآن– أن مشكلتنا هي مشكلة لاجئين، أو أن مشكلة الشرق الأوسط هي مشكلة خلاف على حدود بين الدول العربية وبين الكيان الصهيوني، أو يتصور أن شعبنا يدعي حقوقاً ليست له، ويقاتل دونما سبب معقول ومشروع، إلا الرغبة في تعكير السلام وإرهاب الآخرين، ولأن هناك بينكم وأعني الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من يموِّن عدونا بطائراته وقنابله وكل أدوات الفتك والتدمير، ويقف منا موقف العداء، ويعمد إلى تشويه حقيقة المشكلة، كل ذلك على حساب الشعب الأمريكي، وعلى حساب رفاهيته، وعلى حساب الصداقة التي نتطلع إليها مع هذا الشعب العظيم، الذي نكن له ولتجاربه في النضال من أجل حريته ووحدة أرضه كل تقدير وكل اعتزاز.

وأنني لانتهز هذه المناسبة لأتوجه إلى الشعب الأمريكي وأُخاطبه من مكاني هنا أن يقف مع شعبنا الشجاع المناضل، أن يقف مع الحق والعدالة، أن يتذكر بطله جورج واشنطن الذي ناضل لاستقلال أمريكا وحريتها، ويتذكر أبراهام لنكولن الذي وقف مع المحرومين والمعذبين، ويتذكر وصايا ويلسون الأربع عشرة والتي يتبناها شعبنا؛ إيماناً بهذه المبادئ الإنسانية العظيمة.

وأتوجه إلى الشعب الأمريكي وأتساءل هل هذه التظاهرات المعادية التي تنطلق في الخارج هي وجهه الحقيقي، وما هي الجريمة التي ارتكبها شعبنا ضد الشعب الأمريكي؟ لماذا هذا الوجه المعادي؟ هل هو لصالح أمريكا؟ هل هو لصالح الجماهير الأمريكية؟ حتماً لا، وأرجو مخلصاً أن يتذكر الشعب الأمريكي أن صداقته مع أُمتنا العربية هي أهم وهي أبقى وهي أنفع، أرجو ذلك.

سيدي الرئيس:

إن شرحنا لجذور قضيتنا نابع من إيماننا، بأن العودة إلى أُصول القضايا التي تشغل العالم أمر ضروري عند تلمس الحلول لها، وهذا منهج نطرحه على السياسة الدولية لتأخذ به بعد أن عانت الكثير وعانت الشعوب معها من محاولة تجاهل الأصول والقفز عليها أو إنكارها؛ رضوخاً واستسلاماً للأمر الواقع.

ترجع جذور المشكلة الفلسطينية إلى أواخر القرن التاسع عشر، أو بكلمات أُخرى إلى ذلك العهد الذي كان يسمى عصر الاستعمار والاستيطان وبداية الانتقال إلى عصر الإمبريالية، حيث بدأ التخطيط الصهيوني– الاستعماري لغزو أرض فلسطين بمهاجرين من يهود أوُروبا،

كما كان الحال بالنسبة للغزو الاستيطاني لإفريقيا، في تلك الحقبة، التي توطدت فيها سطوة عتاة الاستعمار القادمين من الغرب إلى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية؛ للاستيطان، وإقامة المستعمرات، وممارسة أشد أشكال الاستغلال والاضطهاد والنهب لشعوب القارات الثلاث، إنها الحقبة التي ما زلنا نشهد آثارها العنصرية البشعة في الجنوب الإفريقي وكذلك في فلسطين.

وكما استخدم الاستعمار والمستوطنون أفكار "التمدن والتحضر" لتبرير الغزو والنهب والعدوان في إفريقيا وغيرها، كذلك استخدمت هذه الذرائع لغزو فلسطين بموجات المهاجرين الصهاينة، وكما استخدم الاستعمار والمستوطنون الدين واللون والعرق واللغة؛ لتمرير عملية استغلال الشعوب، وإخضاعها بالتمييز والتفرقة والإرهاب في إفريقيا، كذلك استخدمت هذه الأساليب لاغتصاب الوطن الفلسطيني، واضطهاد شعبه، ومن ثم تشريده، وكما استخدم الاستعمار وقتئذ المحرومين والفقراء والمستغلين كوقود لنار عدوانه ومرتكزات الاستيطان، كذلك استخدم الاستعمار العالمي والقادة الصهاينة اليهود، المحرومين والمضطهدين في أُوروبا كوقود للعدوان، ومرتكزات للاستيطان والتمييز العنصري. إن الإيديولوجية الصهيونية التي استخدمت ضد شعبنا لاستيطان فلسطين بالغزاة الوافدين من الغرب، استخدمت في الوقت ذاته لاقتلاع اليهود من جذورهم في أوطانهم المختلفة ولتغريبهم عن الأمم.

إنها أيديولوجيا استعمارية استيطانية؛ عنصرية تمييزية رجعية، تلتقي مع اللاسامية في منطلقاتها، بل هي الوجه الآخر للعملة نفسها؛ فعندما نقول أن تابعي دين معين هو اليهود، أياً كان وطنهم، لا ينتسبون إلى ذلك الوطن، ولا يمكن أن يعيشوا كمواطنين متساوين مع بقية المواطنين من الطوائف الأخرى– فإن ذلك التقاء مباشر مع دعاة اللاسامية، وعندما يقولون أن الحل الوحيد لمشكلتهم هو أن ينفصلوا عن الأمم والمجتمعات التي هم جزء منها عبر تاريخ طويل، ثم يهاجرون ليستوطنوا أرض شعب آخر ويحلوا محله بالقوة والإرهاب، يأخذون من غيرهم الموقف نفسه الذي أخذه دعاة اللاسامية منهم.

ومن هنا نلاحظ مثلاً العلاقة الوثقى بين ردوس وهو يبسط استعماره الاستيطاني في جنوب شرقي القارة الإفريقية، وبين هرتزل الذي راح يخطط ويصمم لاستعماره الاستيطاني على أرض فلسطين.

وعندما حصل هرتزل على شهادة حسن سلوك استعماري استيطاني من رودس، قدمها للحكومة البريطانية ليستصدر منها قرار التأييد والدعم، مقابل أن يبني على أرض فلسطين قاعدة للاستعمار، تؤمن مصالحه في أهم النقاط الإستراتيجية في الشرق الأوسط.

وهكذا باشرت الحركة الصهيونية متحالفة مع الاستعمار العالمي غزوتها لبلادنا.

واسمحوا لي أن أوجز بعض الحقائق التالية حولها:

-كان عدد سكان فلسطين عند بداية الغزو عام 1881، وقبل قدوم أول موجة استيطان حوالي نصف مليون نسمة، كلهم من العرب، مسلمين ومسيحيين ومنهم حوالي عشرون ألفاً من يهود فلسطين، يعيشون جميعاً في كنف التسامح الديني الذي اشتهرت به حضارتنا.

-وكانت فلسطين أرضاً خضراء معمورة بشعبها العربي الذي يبني الحياة في وطنه ويغني ثقافته.

-وعمدت الحركة الصهيونية إلى تهجير حوالي خمسين ألف يهودي أوروبي بين عامي 1882 و1917، لاجئة إلى شتى أساليب الاحتيال لتغرسهم في أرضنا، ونجحت في الحصول على تصريح بلفور من بريطانيا، فجسد التصريح حقيقة التحالف الصهيوني الاستعماري، وعبر هذا التصريح عن مدى ظلم الاستعمار للشعوب، حيث أعطت بريطانيا وهي لا تملك وعداً للحركة الصهيونية وهي لا تستحق، وخذلت عصبة الأمم بتركيبها القديم شعبنا العربي، وتبخرت وعود ومبادئ ويلسون في الهواء، وفرضت علينا قسراً الاستعمار البريطاني بصورة الانتداب، وتعهد صك الانتداب الذي أصدرته عصبة الأمم المتحدة صراحة، بالتمكين للغزوة الصهيونية من أرضنا.

-وعلى مدى ثلاثين عاماً بعد صدور تصريح بلفور، نجحت الحركة الصهيونية مع حليفها الاستعماري، في تهجير مزيد من يهود أوروبا واغتصاب أراضي عرب فلسطين، وهكذا أصبح عدد اليهود في فلسطين عام 1947 حوالي ستمائة ألف يملكون أقل من 6% من أراضي فلسطين الخصبة، بينما كان تعداد عرب فلسطين حوالي مليون وربع المليون نسمة.

-وبفعل تواطؤ الدولة المنتدبة مع الحركة الصهيونية، ودعم الولايات المتحدة لهما، صدر عن هذه الجمعية وهي في بداية عهدها التوصية بتقسيم وطننا فلسطين في 29 نوفمبر 1947 وسط تحركات مريبة وضغوط شديدة؛ فقسمت ما لا يجوز لها أن تقسم: أرض الوطن الواحد،

وحين رفضنا ذلك القرار؛ فلأننا مثل أم الطفل الحقيقية التي رفضت أن يقسم سليمان طفلها حين نازعتها عليه امرأة أخرى، ومع ذلك فقد منح قرار التقسيم المستوطنين الاستعماريين 54% من أرض فلسطين، وكأن ذلك لم يكن كافياً بالنسبة إليهم؛ فشنوا حرباً إرهابية ضد السكان المدنيين العرب واحتلوا 81% من مجموع مساحة فلسطين، وشردوا مليون عربي، مغتصبين بذلك 524 قرية ومدينة عربية، ودمروا منها 385 مدينة وقرية تدميراً كاملاً محاها من الوجود، وحيث فعلوا ذلك أقاموا مستوطناتهم ومستعمراتهم فوق الأنقاض وبين بساتيننا وحقولنا.

ومن هنا يبدأ جذر المشكلة الفلسطينية، أن هذا يعني أن أساس المشكلة ليس خلافاً دينياً أو قومياً بين دينين أو قوميتين؛ وليس نزاعاً على حدود بين دول متجاورة. إنه قضية شعب اغتصب وطنه وشرد من أرضه لتعيش أغلبيته في المنافي والخيام.

وقد استطاع هذا الكيان الصهيوني وبدعم من دول الاستعمار والامبريالية، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية أن يتحايل على هيئة الأمم لقبوله في عضويتها، ومن ثم على شطب قضية فلسطين من جدول أعمالها، وتضليل الرأي العام العالمي بتصوير المشكلة كمشكلة لاجئين بحاجة إلى عطف المحسنين أو إعادة توطينهم في بلاد الآخرين.

على أن هذه الدولة العنصرية التي قامت على أساس الاستعمار الاستيطاني، لم تكتف بكل ذلك، حيث جعلت من نفسها قاعدة للإمبريالية، وراحت تتحول إلى ترسانة من الأسلحة؛ لإكمال مهمتها في إخضاع الشعوب العربية، والعدوان عليها طمعاً في المزيد من التوسع على الأرض الفلسطينية والأراضي العربية، فإلى جانب عشرات الاعتداءات التي شنتها هذه الدولة ضد البلاد العربية، قامت بحربين توسعيتين كبيرتين عام 1956 وعام 1967، عرضت خلالهما السلم العالمي لخطر حقيقي، فقد كان من نتائج العدوان الصهيوني في حزيران 1967 أن احتل العدو سيناء المصرية حتى مشارف السويس، واحتل الجولان السورية، فضلاً عن احتلاله للأرض الفلسطينية حتى نهر الأردن؛ الأمر الذي شكل وضعاً جديداً في منطقتنا، وخلق ما يسمى بمشكلة الشرق الأوسط.

ومما جعل الوضع يتفاقم أكثر، إصرار العدو على استمرار الاحتلال وتكريسه، مشكلاً رأس حربه للاستعمار العالمي ضد أمتنا العربية، وقد ضرب عرض الحائط بكل قرارات مجلس الأمن ونداءات الرأي العام العالمي للانسحاب من الأراضي التي احتلها بعد حزيران، ولم تجدِ كل المساعي السلمية والدبلوماسية لردعه عن هذه السياسة التوسعية، فما كان أمام أمتنا العربية

وفي مقدمتها دولتا مصر وسوريا إلا أن تبذل الجهود المضنية في الاستعداد العسكري من أجل الصمود أولاً في وجه هذه الغزوة الهمجية المسلحة بالقوة، وثانياً من أجل تحرير تلك الأراضي واستعادة حقوق الشعب الفلسطيني، بعد استنفاذ كل الوسائل السلمية، وضمن هذا الإطار اندلعت الحرب الرابعة، حرب تشرين لتؤكد للعدو الصهيوني عقم سياسته الاحتلالية التوسعية واعتماده على شريعة القوة العسكرية، ولكن رغم ذلك، فإن قادة الكيان الصهيوني ما زالوا بعيدين عن الاتعاظ بهذه الدروس، فهم يعدون العدة للحرب الخامسة، ليعودوا من جديد إلى سياسية مخاطبة العرب بلغة التفوق العسكري، سياسة العدوان والإرهاب والإخضاع للحرب.

سيدي الرئيس:

لشد ما يتألم شعبنا حين يسمع تلك الدعايات التي تقول أن أراضيه كانت صحراء فعمرها المستوطنون الأجانب، وأن وطنه كان خالياً من السكان، وأنه لم يتضرر أحد من بني البشر نتيجة قيام هذا الكيان الاستيطاني، لا يا سيدي الرئيس يجب أن تدحض هذه الأكاذيب من على هذا المنبر العالمي، ويجب أن يعرف الجميع أن فلسطين كانت مهداً لأقدم الحضارات والثقافات، استمر شعبها العربي ينشر الخضرة والبناء والحضارة والثقافة في ربوعها طوال آلاف السنين، ويرفع لواء التسامح العربي ضارباً المثل في حرية العقيدة، وحارساً أميناً على مقدسات جميع الأديان في وطنه.

وأنني كأحد أبناء بيت المقدس احتفظ لنفسي ولشعبي بذكريات جميلة، وصور رائعة، عن مظاهر التآخي الديني التي كانت تتألف في مدينتنا المقدسة قبل حلول النكبة بها، ولم ينقطع شعبنا عن ذلك إلا بعد تمكن الغزوة الصهيونية الهمجية من إقامة دولة إسرائيل وتشريده، ولكنه مازال مصمماً على الاستمرار في أداء دوره الحضاري والإنساني على أرض فلسطين، ولا يسمح بأن تتحول هذه الأراضي إلى بؤر للعدوان على الشعوب، وإلى معسكر عنصري ضد الحضارة والثقافة والتقدم والسلام، ولهذا، فإن شعبنا لا يستطيع إلا أن يواصل تراث أجداده في الكفاح ضد الغزاة، وأن يحمل شرف المسؤولية في الدفاع عن وطنه، وعن أمته العربية، وعن الثقافة والحضارة ومهد الديانات السماوية، وتكفينا نظرة سريعة لمواقف إسرائيل العنصرية عندما دعمت منظمة الجيش السرية في الجزائر، وفي دعمها للمستعمرين في إفريقيا، سواء في الكونغو وانغولا وموزمبيق وزمبابوي وروديسيا وجنوب أفريقا، وفي وقوفها إلى جانب حكومة فيتنام ضد الثورة الفيتنامية، فضلاً عن مواقفها المتتابعة في هذا السياق إلى جانب الاستعماريين

والعنصريين في كل مكان، وعرقلتها لعمل لجنة تصفية الاستعمار، ورفضها التصويت لمصلحة استقلال بلدان إفريقيا ووقوفها ضد مطالب بلدان آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية وبلدان عديدة أخرى في مؤتمرات "المواد الأولية والتنمية" و"قانون البحار" و"السكان" و"التغذية"؛ كل ذلك يعطي دليلاً إضافياً على صورة العدو الذي اغتصب بلادنا، ويكشف عن شرف النضال الذي نخوضه ضده، أننا ندافع عن حلم المستقبل، وهو يدافع عن أساطير الماضي.

سيدي الرئيس:

إن لهذا العدو الذي نواجهه سجلاً حافلاً ضد اليهود أنفسهم، فهناك في داخل الكيان الصهيوني تمييز عنصري بشع ضد اليهود الشرقيين، وإذا كنا ندين بكل ما أوتينا من قوة مذابح اليهود تحت الحكم النازي، فإن القادة الصهاينة كانوا يبدو أن همهم الأكبر حينذاك هو استغلال هذا الموضوع لتحقيق الهجرة إلى فلسطين.

سيدي الرئيس:

لو كان تهجيرهم إلى فلسطين بهدف العيش كمواطنين متساوين معنا بالحقوق والواجبات لكنا أفسحنا لهم المجال ضمن إمكانات وضعنا، كما حدث مع عشرات الآلاف من الأرمن والشركس الذين ما زالوا بيننا أخوة مواطنين مثلنا تماماً، أما أن يكون هدف ذلك اغتصاب أراضينا وتشريدنا وتحويلنا إلى مواطنين من الدرجة الثانية، وإنزال المعاملة نفسها بنا؛ فهذا ما لا يمكن أن ينصحنا به أحد أو نذعن له، ولهذا؛ فإن ثورتنا منذ البداية لا تقوم على أسس عرقية أو دينية عنصرية، وليست موجهة ضد الإنسان اليهودي من حيث كونه إنساناً، وإنما هي موجهة ضد العنصرية الصهيونية وضد العدوان، وبهذا المعنى، فإن ثورتنا هي أيضاً من أجل الإنسان اليهودي، إننا نناضل من أجل أن يعيش اليهود والمسيحيون والمسلمون بمساواة في الحقوق والواجبات، وبلا تمييز عنصري أو ديني.

إننا إذن يا سيادة الرئيس، نفرق بين اليهودية وبين الصهيونية، وفي الوقت الذي نعادي الحركة الصهيونية الاستعمارية، فإننا نحترم الدين اليهودي، لأنه جزء من تراثنا، وإننا نحذر اليوم وبعد قرابة قرن من بروز هذه الحركة العنصرية، أن خطرها يتزايد ضد اليهود في العالم، وضد شعبنا العربي، وضد أمن العالم وسلامته، فالصهيونية لا تزال متمسكة بتهجير اليهود من أوطانهم، واصطناع قوميه عنصرية عدوانية لهم يستبدلون بها قومياتهم الأصلية، إن الصهيونية تتابع نشاطها التخريبي هذا على الرغم من ظهور فشل الحل الذي قدمته، وإن

ظاهرة النزوح من هذا التجمع الإسرائيلي المستمر منذ قيامه والى الآن والتي ستقوى مع سقوط قلاع الاستعمار الاستيطاني العنصري في العالم لدليل أكيد على هذا الفشل.

إننا ندعو جميع الشعوب والحكومات لمجابهة مخططات الصهيونية الرامية إلى تهجير مزيد من يهود العالم من أوطانهم، ليغتصبوا وطننا، وندعوهم في الوقت نفسه لنكمل سوياً للوقوف في وجه أي اضطهاد للإنسان بسبب دينه أو جنسه أو لونه.

وإنني أتساءل يا سيادة الرئيس، لماذا يدفع شعبنا الفلسطيني الثمن؟ لماذا يتحمل شعبنا ووطننا مسؤولية مشكلة الهجرة اليهودية؟ إذا كانت لا زالت مثل هذه المشكلة باقية في مخيلة البعض. وأتساءل لماذا لا يتحمل المتحمسون لهذه المشكلة– إن وجدت المسؤولية– فيفتحوا بلادهم الكبيرة الرقعة، والقادرة لاستيعاب هؤلاء المهاجرين ومساعدتهم؟لماذا؟.

سيدي الرئيس:

إن الذين ينعتون ثورتنا بالإرهاب، إنما يفعلون ذلك لكي يضللوا الرأي العام العالمي عن رؤية الحقائق، وعن روية وجهنا الذي يمثل جانب العدل والدفاع عن النفس، ووجههم الذي يمثل جانب الظلم والإرهاب والقهر.

إن الجانب الذي يقف فيه حامل السلاح هو الذي يميز بين الثائر والإرهابي، فمن يقف في جانب قضية عادلة ومن يقاتل من أجل حرية وطنه واستقلاله ضد الغزو والاحتلال والاستعمار، لا يمكن بأي حال أن تنطبق عليه صفة الإرهابي، وإلا اعتبر الشعب الأمريكي حين حمل السلاح ضد الاستعمار البريطاني إرهابياً، واعتبرت المقاومة الأوروبية ضد النازية إرهاباً، واعتبر نضال الشعوب في آسيا وإفريقيا وأمريكيا اللاتينية إرهاباً، واعتبر الكثيرون منكم في هذه القاعة إرهابيين، لا يا سيدي الرئيس إن هذا هو الكفاح العادل والمشروع والذي يكرسه ميثاق هيئتكم هيئة الأمم، والإعلان العالمي لحقوق الإنسان؛ أما الذي يحمل السلاح ضد القضايا العادلة الذي يشن الحرب لاحتلال أوطان الآخرين ونهبهم واستغلالها واستعمارهم، فذلك هو الإرهابي الحقيقي، وأعماله هي التي يجب أن تدان، وينسحب عليه لقب مجرم حرب، ذلك أن عدالة القضية هي التي تقرر عدالة السلاح.

سيدي الرئيس:

إن الإرهاب الصهيوني الذي ارتكب بحق الشعب الفلسطيني لإجلائه عن وطنه واقتلاعه من أرضه مدون لديكم في وثائق رسمية، وزعت في الأمم المتحدة، ولقد ذبح الآلاف من أبناء شعبنا في قراهم ومدنهم، وأجبر عشرات الألوف تحت نار البندقية وقصف المدافع والطائرات أن يتركوا بيوتهم وما زرعوا في أرض أجدادهم، وكم من مسيرة أجبر فيها أبناء من شعبنا نساء وأطفالاً وشيوخاً على الخروج من دون زاد أو ماء، وأرغموا على تسلق الجبال، والتيه في الصحراء.

إن الكوارث التي حلت عام 1948 بأهالي المئات من القرى والمدن في السهل والجبل، في القدس في يافا في اللد في الرملة في الجليل لا ولن ننساها، لن ينساها من عانى أهوالها لحظة بلحظة، رغماً عن التعتيم الإعلامي العالمي، الذي نجح في إخفاء هذه الأهوال، كما أخفى أثر 385 قرية ومدينة فلسطينية دمرت في حينه، وأزيلت من الوجود، كما أن نسف 19 ألف منزل على مدى السنوات السبع الأخيرة(أي ما يساوي تدمير مائتي قرية فلسطينية أخرى تدميراً كاملاً) والأعداد الضخمة من مشوهي الإرهاب والتعذيب ومن في السجون، لا يمكن أن يطمسه التعتيم الإعلامي. لقد وصل إرهابهم إلى الحقد حتى على شجرة الزيتون، حتى على شجرة البرتقال، على شجرة البرتقال والزيتون في بلادي، والتي اعتبروها علماً شامخاً يذكرهم بسكان البلاد الأصليين، يصرخ أن الأرض فلسطينية؛ فراحوا يعملون على اقتلاعها، أو قتلها بالإهمال والتحطيب، ماذا يمكن يا سيادة الرئيس أن يسمى تصريح غولدا مائير عندما عبرت عن "قلقها من عدد الأطفال الفلسطينيين الذين يولدون كل صباح"، أنهم يرون في الطفل الفلسطيني والشجرة الفلسطينية، عدواً يجب التخلص منه.

يا سيادة الرئيس طيلة عشرات السنين وهم يتعقبون قيادات شعبنا الثقافية والسياسية والاجتماعية والفنية، بالإرهاب والقتل والاغتيال أو التشريد، لقد سرقوا تراثنا الحضاري ،وفولكلورنا الشعبي، وادعوه لهم، ومدوا إرهابهم إلى مقدساتنا في مدينة السلام(القدس الحبيبة) وعمدوا إلى افقادها طابعها العربي المسيحي الإسلامي من خلال تهجير سكانها وضمها لدولتهم، ولا حاجة لأن نسترسل في ذكر المسجد الأقصى، وسرقة ثروات كنيسة القيامة، والتشويه الذي لحق بعمرانها وطابعها التاريخي، فالقدس بروعتها، وبالعبق التاريخي المسيطر

عليها، تشهد لأجيالنا المتعاقبة التي مرت عليها تاركة في كل ركن من أركانها أثراً خالداً وبصمة حنونة ولمسة حضارية ونبضة إنسانية.

وليس غريباً أن تتعانق في سمائها الرسالات السماوية الثلاث، وتتهادى في ركبها وآفاقها، تنير للبشرية طريق جلجلتها وهي تحمل أشواكها وآلامها؛ لترسم مستقبلها بكل ما فيه من آمال وأماني ومعطيات.

سيدي الرئيس:

إن العدد القليل من العرب الفلسطينيين الذين لم يستطع العدو تهجيرهم من أرضهم عام 1948 هم الآن لاجئون على أرضهم، وقد عوملوا في القانون الإسرائيلي كمواطنين من الدرجة الثانية، بل الثالثة باعتبار أن اليهود الشرقيين هم مواطنو الدرجة الثانية، ومورست ضدهم كل أشكال التمييز العنصري والإرهاب، وصودرت أراضيهم وممتلكاتهم، وتعرضوا لمذابح دامية، كما حدث في قرية كفر قاسم، وهجروا من قراهم، وحرموا من العودة لها، كما حدث لأهالي قريتي كفر برعم وأقرت وغيرها، كما أهلنا عاشوا هناك 26 عاماً تحت الحكم العسكري العرفي لا يحق لهم الانتقال من مكان إلى مكان دون إذن مسبق من الحاكم العسكري، تصور يا سيادة الرئيس في الوقت الذي يسن فيه المشرع الإسرائيلي قانوناً آخر، يعتبر ويعطي حقاً تلقائياً بالمواطنة لأي يهودي يهاجر إلى أرضنا فور أن يطأها، يسن قانوناً آخر يعتبر الفلسطينيين الذين بقوا في فلسطين ولم يكونوا في قراهم أو مدنهم ساعة احتلالها، محرومين من المواطنة.

سيدي الرئيس:

إن سجل حكام إسرائيل الحافل بجرائم الإرهاب، يمتد ليشمل عدداً من أبناء أمتنا العربية الذين بقوا تحت الاحتلال في سيناء أو الجولان، كما أن ذكرى جريمة قصف مدرسة بحر البقر، ومصنع أبو زعبل في مصر، وتدمير الطائرة الليبية المدنية، ما زالت ماثلة للأذهان، وأما تدمير مدينة القنيطرة السورية، فما زال شاهداً لكل من يريد أن يرى ما يفعله الإرهاب في بلادنا، وإذا فتح سجل الإرهاب الصهيوني على جنوبي لبنان، وهو الإرهاب الذي ما زال مستمراً حتى الآن، فسوف تقشعر الأبدان من هول ما يرتكب من أعمال القرصنة والقصف والعدوان، بما في ذلك تهجير المدنيين، وتدمير بيوتهم، وخطفهم، وحرق مزارعهم، إلى جانب الاعتداءات المستمرة على سيادة الدولة اللبنانية، والإعداد لسرقة مياه نهر الليطاني. ولنذكر في هذا المجال

القرارات العديدة التي صدرت عن هذه المنظمة وفيما يتعلق بضم القدس وتغيير طابعها السابق من الاحتلال وإدانتها لمخالفات متعددة لبنود اتفاقيات جنيف في حالة الحرب.

سيدي الرئيس:

إن التأمل بكل هذه الأعمال لا يمكن أن يطلق عليه من وصف غير وصف الإرهاب الهمجي، ومع ذلك يتجرأ هؤلاء الإرهابيون الغزاة العنصريون على تسمية نضالات شعبنا العادلة بالأعمال الإرهابية.

هل يوجد ثمة تجرؤ على الباطل والتزييف أشد من هذا؟ وأننا نقول أن على أولئك الذين اغتصبوا أرضنا وارتكبوا من جرائم الإرهاب والتمييز العنصري، أكثر مما فعل ويفعل العنصريون في جنوبي إفريقيا، أن يتذكروا قرار الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة الذي أعلن طرد جنوبي إفريقيا من عضويتها؛ لأن ذلك هو المصير المحتوم لكل الدول العنصرية التي تطبق شريعة الغاب وتغتصب وطن الآخرين وتضطهدهم.

سيدي الرئيس:

لقد قاوم شعبنا الفلسطيني خلال ثلاثين عاماً تحت الاحتلال البريطاني، والغزو الصهيوني، كل محاولات انتزاع أرضه، وناضل في ثورات، وفي عشرات الانتفاضات الشعبية؛ من أجل إحباط المؤامرة؛ ليبقى على أرضه وفوق تراب وطنه، قدم في سبيل ذلك ولغاية 1948 ثلاثين ألف شهيد "أي ما يوازي 6 ملايين أمريكي بالنسبة لعدد سكان اليوم."

وعندما اقتلعت غالبيته من الأرض الفلسطينية التي احتلت عام 1948، ظل يقاوم في ظروف صعبة محاولات إفنائه، وحاول شعبنا بكل الطرق استمرار نضاله السياسي من أجل حقوقه، دون جدوى، وناضل للحفاظ على وجوده؛ فتعلم أبناؤه في النزوح والشتات وكدحوا تحت أصعب الظروف؛ ليستطيعوا الاستمرار، وأصبح لدى الشعب الفلسطيني آلاف الأطباء والمهندسين والأساتذة والعلماء، توجهوا بعملهم وإمكانياتهم للأقطار العربية المحيطة بوطنهم المغتصب، فساهموا في البناء والتعمير والتطوير، وحصلوا على دخل استخدموه لمساعدة شعبهم وأقربائهم الفقراء الصغار، والعجائز الذين استحال عليهم مغادرة مخيمات النزوح، علم الأخ أخاه، وحافظ على والديه، وربى أولاده؛ ولكنه ظل يحلم في قلب ذاته بالعودة إلى فلسطين،

ظل فلسطينياً متمسكاً بوطنه، لا يهتز ولاؤه لها ولا تهون عزيمته ولا يفتر حماسه، لم يغره شيء للتخلي عن فلسطينيته ووطنه فلسطين، لا ولم ينسه الزمن إياها كما توقع الكثيرون.

وعندما خابت آمال شعبنا بالأسرة الدولية، التي نسيته وتغافلت عن حقوقه، وثبت لشعبنا عجز النضال السياسي وحده عن استعادة شبر أرض من وطنه، لجأ شعبنا إلى الثورة، وأعطاها كل إمكانياته المادية والبشرية وخيرة شبابه، وواجه شعبنا ببسالة إرهاباً إسرائيلياً لا يتخيله بشر ليثنيه عن طريق النضال.

لقد قدم شعبنا في السنوات العشر الأخيرة من نضاله آلاف الشهداء، وأضعافهم من الجرحى والمشوهين والأسرى والمعتقلين؛ من أجل ألا يفنى أو يذوب؛ ومن أجل انتزاع حقه في تقرير مصيره على وطنه، وفي عودته إلى هذا الوطن.

وتعيش جماهير شعبنا الآن تحت الاحتلال الصهيوني، تقاوم بكل الكبرياء المتأصلة فيها، بكل الشموخ الثوري الملازم لها، سواء من زج بهم في السجون والمعتقلات، أو من يعيش داخل السجن الكبير في قفص الاحتلال، يقاومون من أجل البقاء ومن أجل الوجود، يناضلون من أجل أن تبقى الأرض عربية، ويكافحون الطغيان والظلم والإرهاب بشتى صوره المأساوية الخطيرة.

ومن خلال ثورة شعبنا المسلحة، تبلورت قياداته السياسية وترسخت مؤسساته الوطنية، وبنيت حركته التحريرية الوطنية التي تضم كل فصائله وتنظيماته وقدراته والتي جسدتها منظمة التحرير الفلسطينية.

ومن خلال حركة التحرر الوطنية الفلسطينية المناضلة، نضج نضال شعبنا وتعددت أساليبه، فشمل النضال السياسي والاجتماعي، بالإضافة للنضال المسلح، واندفعت منظمتنا تساهم في بناء الإنسان المؤهل لمستقبل الفلسطيني، وليس فقط لتعبئته لمواجهة تحديات الحاضر.

وتعتز منظمة التحرير الفلسطينية بأنها وهي تخوض المعارك المسلحة وتواجه قساوة الإرهاب الصهيوني، قامت بمآثر عديدة حضارية وثقافية؛ فشكلت مؤسسات البحث العلمي، والتطوير الزراعي، والرعاية الصحية، وإحياء التراث الحضاري لشعبنا، وتطوير الفولكلور الشعبي، وخرَّجت من بين صفوفها عدداً من الشعراء والفنانين والكتاب الذين يسهمون في

تطوير الثقافة العربية، وربما امتد ذلك إلى الثقافة العالمية، وكان المحتوى لكل ذلك يحمل طابعاً إنسانياً عميقاً، أثار إعجاب كل الأصدقاء الذين أطَّلعوا عليه، وكنا بذلك، النقيض لعدونا، الذي قام على هدم الحضارة والثقافة بترويج الأفكار العنصرية والاستعمارية وكل ما هو معاد للشعوب وللتقدم وللعدل وللديمقراطية وللسلام.

سيدي الرئيس:

لقد اكتسبت منظمة التحرير الفلسطينية شرعيتها من طليعتها في التضحية، ومن قيادتها للنضال بكافة أشكاله، واكتسبتها من الجماهير الفلسطينية، التي أولتها قيادة العمل، واستجابت لتوجيهها، واكتسبها من تمثيل كل فصيل ونقابة وتجمع وكفاءة فلسطينية في مجلسها الوطني ومؤسساتها الجماهيرية، وقد تدعمت هذه الشرعية بمؤازرة الأمة العربية كلها لها، وكما تكرس هذا الدعم في مؤتمر القمة العربي الأخير، بتأكيد حق منظمة التحرير الفلسطينية في إقامة السلطة الوطنية المستقلة على كل الأراضي الفلسطينية التي يتم تحريرها، بصفتها الممثلة الشرعية الوحيدة للشعب الفلسطيني.

كما أن شرعيتها تعمقت من خلال دعم الأخوة في حركات التحرر، ودول العالم الصديقة المناصرة، التي وقفت إلى جانب المنظمة تدعمها وتشد أزرها في نضالها من أجل حقوق الشعب الفلسطيني.

وهنا لا بد أن أعلن بكل اعتزاز شكر ثوارنا وشعبنا للمواقف المشرفة التي وقفتها مع نضال شعبنا دول عدم الانحياز، والدول الاشتراكية، والدول الإسلامية، والدول الإفريقية، والدول الصديقة في أوروبا، وكذلك الأصدقاء في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية.

سيدي الرئيس:

إن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، وهي بهذه الصفة تنقل إليكم تلك الرغبات والأماني، وتحملكم مسؤولية تاريخية كبيرة تجاه قضيتنا العادلة.

سيادة الرئيس:

لقد تعرض شعبنا لويلات الحرب والدمار والتشريد سنين طويلة، ودفع شعبنا من دماء أبنائه وأرواحهم ما لا يعوّض بثمن.

وعانى من الاحتلال والتشريد والنزوح والإرهاب ما لم يعان منه شعب آخر، ولكن ذلك كله لا يجعل شعبنا حاقداً يحلم بالانتقام، كما أنه لا يجعلنا– يا سيادة الرئيس– نقع في سقطة عدونا العنصرية أو نفق الرؤية الحقيقية في تحديد أعدائنا وأصدقائنا.

إننا ندين كل الجرائم التي ارتكبت ضد اليهود، وكل أنواع التمييز الصريح والمقنع الذي عانى منه معتنقو اليهودية.

سيدي الرئيس:

إنني ثائر من أجل الحرية، وأعرف أن كثيرين من الجالسين في هذه القاعة، كانوا في مثل المواقع النضالية التي أقاتل منها الآن، واستطاعوا من خلال نضالهم أن يحولوا أحلامهم إلى حقائق، إنهم شركائي في الحلم إذن، من هنا أسألهم أن نمضي في تحويل الحلم المشترك بمستقبل السلام في هذه الأرض الفلسطينية المقدسة إلى حقائق ساطعة.

لقد وقف المناضل اليهودي أهود أديف في المحكمة العسكرية الإسرائيلية قائلاً: "أنا لست مخرباً... أنا من المؤمنين بإقامة الدول الديمقراطية على هذه الأرض، إنه الآن في غياهب سجون الزمرة العسكرية الصهيونية مع زملاء له، ويمثل الآن أمام هذه المحاكم ذاتها، أمير شجاع من أمراء الكنيسة المسيحية هو المطران كبوجي، إنه يرفع أصابعه بعلامة النصر – شعار ثوارنا – ويقول: "إنني أعمل من أجل السلام في فلسطين؛ ليعيش الجميع على أرض السلام بسلام"، وسيلقى هذا الأمير الراهب المصير ذاته في غياهب السجون."

فلماذا لا أحلم يا سيادة الرئيس، وآمل؟ والثورة هي صناعة تحقيق الأحلام والآمال، فلنعمل معاً على تحقيق الحلم في أن أعود مع شعبي من منفاي؛ لأعيش مع هذا المناضل اليهودي ورفاقه، ومع هذا المناضل الراهب المسيحي وإخوانه، في ظل دولة واحدة ديمقراطية يعيش فيها المسيحي والمسلم في كنف المساواة والعدل والإخاء.

ألا يستحق هذا الهدف الإنساني النبيل أن أناضل من أجل تحقيقه مع كل الشرفاء في العالم؟ ولعل أروع ما في هذا الهدف العظيم هو أنه من أجل فلسطين، أرض القداسة والسلام، أرض الاستشهاد والبطولة.

لقد ناضل اليهود يا سيادة الرئيس في أوروبا، وهنا في أمريكا، من أجل أوطان لا طائفية، تنفصل فيها الدول عن الكنيسة، وقاتلوا ضد التمييز على أساس الدين، فكيف يمكن لهم أن

يرفضوا هذا النموذج الإنساني المشرف على الأرض المقدسة؟ أرض السلام والمساواة، وكيف يمكن لهم أن يستمروا في دعم أكثر دول العالم انغلاقاً وتمييزاً وتعصباً؟

إنني أعلن أمامكم هنا كرئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية، وقائد للثورة الفلسطينية، أننا عندما نتحدث عن آمالنا المشتركة من أجل فلسطين الغد، فنحن نشمل في تطلعاتنا كل اليهود الذين يعيشون الآن في فلسطين، ويقبلون العيش معنا في سلام ودون تمييز على أرض فلسطين.

إنني بصفتي رئيساً لمنظمة التحرير، وقائداً لقوات الثورة الفلسطينية، أدعوا اليهود فرداً فرداً ليعيدوا النظر في طريق الهاوية الذي تقودهم إليه الصهيونية والقيادات الإسرائيلية، وهي التي لم تقدم لهم غير النزيف الدموي الدائم، والاستمرار في خوض الحروب واستخدامهم كوقود دائم لها.

إننا ندعوكم للخروج إلى مجال الاختيار الرحب، بعيداً عن محاولات قيادتكم لغرس عقدة المساواة وجعلها قدراً لكم.

إننا نقدم لكم أكرم دعوة، أن نعيش معاً في إطار السلام العادل في فلسطيننا الديمقراطية.

إنني كرئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية، وكقائد للثورة الفلسطينية، أعلن هنا أننا لا نريد إراقة نقطة دم يهودية أو عربية... ولا نستعذب استمرار القتال دقيقة واحدة، إذا حل السلام العادل المبني على حقوق شعبنا وتطلعاته وأمانيه.

إنني كرئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية، وكقائد للثورة الفلسطينية أتوجه إليكم أن تقفوا مع نضال شعبنا؛ من أجل تطبيق حقه في تقرير مصيره، هذا الحق الذي كرسه ميثاق منظمتكم، وأقرته جمعيتكم الموقرة في مناسبات عديدة.

وإنني أتوجه إليكم أيضاً أن تمكنوا شعبنا من العودة من منفاه الإجباري الذي دفع إليه تحت حراب البنادق وبالعسف والظلم؛ ليعيش في وطنه وديار وتحت ظلال أشجاره حراً سيداً متمتعاً بكافة حقوقه القومية؛ ليشارك في ركب الحضارة البشرية وفي مجالات الإبداع الإنساني بكل ما فيه من إمكانات وطاقات، وليحمي قدسه الحبيبة، كما فعل دائماً عبر التاريخ، ويجعلها قبلة حرة لجميع الأديان، بعيداً عن الإرهاب والقهر.

كما أتوجه إليكم بأن تمكنوا شعبنا من إقامة سلطته الوطنية المستقلة، وتأسيس كيانه الوطني على أرضه.

لقد جئتكم يا سيادة الرئيس بغصن الزيتون مع بندقية ثائر، فلا تسقطوا الغصن الأخضر من يدي.

سيادة الرئيس:

الحرب تندلع من فلسطين والسلام يبدأ من فلسطين.

المصدر :

مؤسسة ياسر عرفات